

تأثير الأدب الفارسي في اللغة العربية و آدابها

أ.د.دلال عباس - الجامعة اللبنانية

خلاصة

ما من أمتين تباينتا وتخالفتا في الدم واللغة والبيئة الطبيعية والاجتماعية، ثم تدانى أدبهما واقترب بعضه من بعض حتى كاد يكون من حيث الصياغة والمنحى واحداً إلى الحد الذي يتعذر على أحد أن يميّز بين أدب وآخر لولا اللغة الدالة عليه، كالأمتين العربية والفارسية، وعلى الرغم من أن الاختلاف في الدم واللغة وطبيعة النشأة بين الأمتين العربية والفارسية لا بد وأن يترك أكبر أثر من الاختلاف في طبيعة أدب الأمتين وصياغته ومنحاه، كان الأدب الفارسي الآري أقرب إلى الأدب العربي السامي من الآداب الأخرى المكتوبة باللغات السامية.

حتى قبل الإسلام تسنى للغة العربية أن تعرف شيئاً غير قليل من المعاني التي تسربت إليها من الفارسية، وورد الكثير منها بألفاظها الفارسية في عدد كثير من الأشعار عند شعراء الجاهلية بدواً وحضراً.

أما بعد الإسلام فيمكننا القول إن اللغة الفارسية تطورت باعتماد الإيرانيين الدين الإسلامي الحنيف متأثرة بلغة القرآن الكريم، وكُتبت بالخط العربي، وإذا كان الإسلام قد حرّر الإيرانيين من الحكومات المستبدة، فإن إيران قد قدّمت خدمات جليلة إلى الإسلام، فقد تفتحت العبقريّة الإيرانية خلال المرحلة الإسلامية في مختلف الميادين العلمية والأدبية واللغوية، والفلسفية وعلم الرياضيات والطب والفلك والعلوم الدينية، وإذا كان الإيرانيون قد ألفوا كتبهم باللغة العربية، فقد طعموها بلغتهم، وأنتجوا باللغة المطعّمة هذه ودوتوا بها كتبهم في المجالات المختلفة، وهناك عدد لا يحصى عدّه من الإيرانيين ممن أبدعوا وبرعوا وكتبوا باللغة العربية علماً وشعراً ونثراً وألفوا في علوم اللغة العربية كالصرف والنحو والبلاغة وغيرها.

أما في الأدب فقد تبادل الأدبان العربي والفارسي المواضيع والأساليب، وأعطت الفارسية الأدب العربي عمق المعنى وجمال التصوير وعمق الحكمة واتساع أفق الرؤيا. وأعطت العربية الفارسية العروض والبديع والدين بمنازعه وأفكاره.

والجدير ذكره أن تيار الترجمة من الفارسية كان من أقوى التيارات التي رفدت الثقافة العربية الإسلامية، ولهذا أسباب كثيرة أبرزها ذلك النفوذ السياسي الذي كان للفرس في الدولة العباسية، والذي تبعه امتزاج في الجنس واللغة والثقافة والحياة الاجتماعية بين العرب والفرس لم يتهيأ له أن يتم بين العرب وأمة أخرى من الأمم التي دخلت في دين الله.

الكلمات المفتاحية: العرب، الإيرانيون، الأدب، اللغة العربية، اللغة الفارسية، التأثير والتأثر.

صلات الفرس والعرب قبل الإسلام:

إنَّ الحدود الجغرافية بين إيران والعرب أكثر من ألف كيلومتر، وهاتان الأمتان كانتا جارتين منذ آلاف السنين، ولا تزالان، وقد ربطت بينهما أوامر المحبة والودّ وحسن الجوار قبل الدين الإسلاميّ الحنيف وبعده، وخير شاهد على ما نقول أثر الصداقة الفارسيّة العربيّة في الأدب العربيّ قبل الإسلام.

بدأت هذه العلاقة حين هاجم الأحباش جنوبيّ الجزيرة العربيّة، فدافع الفرس عن العرب هنالك، حيث كانت تربطهم أوامر المودة بقبيلة حمير، وذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" شعراً لأحد الشعراء الفرس الذين كانوا ينظمون أشعارهم باللغة العربيّة يفتخر فيه بأنّ الفرس هم الذين أنقذوا حميراً من بليّة السودان¹. كما أورد المسعودي قصيدة للبحرّي يثني فيها على الفرس لدفاعهم عن العرب في وجه الأحباش².

وذكرت التواريخ أسماء بعض الشعراء والخطباء العرب الذين كانت تربطهم أوامر المحبة بالفرس قبل الإسلام، منهم غيلان بن سلمة الثقفيّ والأعشى الشاعر المشهور، وقد تسرّبت إلى اللغة العربيّة من الفارسيّة معان عديدة بألفاظها الفارسيّة، ونلاحظ ذلك في أشعار عدد من الشعراء العرب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في شعر الأعشى من كلمات فارسيّة مثل گلستان وبنفشه وسوسن وشاه اسبرم وياسمين ونرگس³. وفي شعر امرئ القيس وردت كلمة الهربذي (هيربد) بمعنى حارس النار...، ووردت في النصّ القرآني كذلك، ألفاظ فارسيّة معرّبة.

بعد معركة القادسيّة في العام 625م، أسلمت أعداد كبيرة من الإيرانيين بدوافع مختلفة، وتعلّم هؤلاء اللغة العربيّة لقراءة القرآن الكريم وإقامة الصلوات، وفي الوقت نفسه نزح كثير من القبائل العربيّة إلى بلاد فارس واستوطنوها، وهاجر كثير من الفرس المسلمين وغير المسلمين إلى حواضر العالم الإسلاميّ وساكنوا العرب، أو كانوا يجيئون إلى الجزيرة العربيّة تجّاراً أو حجّاجاً أو زوّاراً أو طلاب حاجات لدى الخلفاء، وتحوّلت فارس إلى ولاية إسلاميّة عربيّة اللسان، تطبّق أنظمة الدولة العربيّة الإسلاميّة، ويعود إلى الخليفة أمر تعيين الولاة والقضاة والجبابة في تلك الربوع.. وفي العصر الأمويّ على الرغم من سياسة التمييز العرقيّ التي اعتمدها الساسة الأمويّون في معاملة المسلمين من غير العرب، نرى أعداداً من الفرس تسنّموا مناصب مهمّة في الدولة...

1 - المسعودي، مروج الذهب، شارل بلا، بيروت 1966م، مج2، ص 205.

2 - م. ن، ص 206.

3 - المجاني في الأدب، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، لا تا، مج1، ص 227 وما بعدها.

إنما يبقى الدور الأهمّ الذي قام به الفرس، وما اتّفق عليه الباحثون والمؤرّخون، هو الدور الذي أدّوه في نجاح الثورة التي أسقطت الدولة الأمويّة، وأدّت إلى قيام بني العبّاس وكان لا بدّ لهؤلاء من أن يشاركوا في بناء الدولة التي وضعوا أساسها، وأظهروها إلى الوجود، والتي كانوا يعدّون غيابها حقاً ضائعاً، وطبيعيّ أن يُسهموا إلى حدّ كبير في وضع الخطط والمبادئ التي ستتجهها، وأن يضعوا الصبغة الفارسيّة الساسانيّة على كثير من مؤسّساتها وتنظيماتها الإداريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وساعدهم على ذلك نقل عاصمة الخلافة إلى بغداد القريبة من فارس، وفضلاً عن أنّ الجند الخراسانيّ كان يشكّل أحد جناحيّ جند الخلافة في ذلك العصر، كان كثير من الفرس يتولّى مناصب قياديّة في الجيش العبّاسيّ وكان أكثر وزراء هذه الدولة من الفرس، وكذلك استأثر من كان منهم يجيد العربيّة والبهلويّة بمنصب الكتابة، ويكفي أن نُشير هنا إلى أسماء عبد الله بن المقفّع، وسهل بن هارون، وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة الصوليّ... وقد بلغ النفوذ السياسيّ الفارسيّ في دولة بني العبّاس حدّاً جعل الجاحظ يقول "دولة بني العبّاس أعجميّة خراسانيّة، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة"⁴.

وجدّ من العوامل في العصر العبّاسيّ ما جعل الترجمة تزدهر وتتمو، فكان للكتب المترجمة من الفارسيّة أثر عظيم في الثقافة العربيّة والإسلاميّة. فلما اتصل العرب بالفرس ترجم بعض الفرس باللغة العربيّة كتباً شتى في العلوم والتاريخ والسير والموسيقى والأخلاق ونظام الحكم، وكان بعض الكتب المترجمة يونانيّ الأصل، وبعضها فارسيّ الأصل، لكن الذي يعنينا هنا هو النوع الثاني.

ولقد بدأت ترجمة التاريخ في عهد مبكر، لحاجة الخلفاء إلى معرفة نظم الحكم الفارسيّ وأساليبه، فقد كان في مكتبة هشام ابن عبد الملك بن مروان كتاب في تاريخ الفرس وسياستهم، تُرجم من الفارسيّة بالعربيّة⁵. وكان الوزراء البارزون في العصر العبّاسيّ فرساً، ولكنهم برعوا في اللغة العربيّة والأدب العربيّ، فجدّوا في نشر الثقافة الفارسيّة ومراجعتها بأدب العرب، وربما كان من بواعثهم على ذلك أنهم أرادوا مباهاة العرب بما لديهم من ثقافة وأدب.

وقد اشتهر البرامكة بتشجيعهم على نشر الثقافة الفارسيّة بالمال والتقريب، إذ أوصاهم والدّهم يحيى بن خالد بقوله:

4 - البيان والتبيين، مج3، ص 206.

5 - تراث فارس 92، ترجمة الدكتور محمد كفاقي وزملائه.

"لا بدّ لكم من كتاب وعمّال وأعوان، فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس، فإنّ النعمة على الأشراف أبقى، وهي بهم أحسن، والمعروف عندهم أشرف والشكر فيهم أكثر"⁶.
ولقد كان كتّابهم من الفرس.

على أنّ الفضل بن سهل نقل- قبل أن يكون وزيراً- كتاباً من الفارسيّة إلى العربيّة بمشورة من يحيى البرمكيّ، فأعجب به، ودعا إلى الإسلام لينال ما يستحقّ من مناصب.

أمّا أهمّ ما نقلوه عن الفرس من علوم فهو التاريخ والسير والفلك والموسيقى والغناء.

وأشهر النقلة نوبخت وابنه الفضل الذي نقل من الفارسيّة كتباً في النجوم وغيرها، وعليّ بن زياد التميمي ويكنّى أبا الحسن، نقل من الفارسيّة كتاب **زيج الشهر يار**، والحسن بن سهل كان من المنجمين والمترجمين، وإسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة بأخبار **نامه**، وعبد الله بن المقفّع ترجم كتاب **التاج** في سيرة كسرى أنو شروان وكتاب "**خداينامه**" وهو تاريخ الفرس من مبدأ ملكهم إلى نهايته، وسمّاه (**تاريخ ملوك الفرس**) وكتاب (**آيين نامه**) أي نظم الفرس وعاداتهم، وكتاب (**مزدك**).

ومما ترجم أبان بن عبد الحميد كتاب (**سيرة أردشير**) وكتاب (**سيرة أنو شروان**) وكتاباً عن **مزدك** وكتاباً عن **بوذا**.

كذلك ترجم آخرون **عهد أردشير**، وكتاب **موبذ موبذان**، وكتاب **أدب الحرب**، و**توقيعات كسرى**.

وقد استقى المؤلفون تاريخ الفرس من الكتب التي ترجمها ابن المقفّع وغيره، فالمسعوديّ يذكر أنه قرأ بمدينة (اصطخر) سنة 303هـ كتاباً عظيماً في أخبار ملوك الفرس وسياستهم وأحوالهم لم يجدها في كتبهم التي قرأها من قبل مثل (**خداينامه**) و (**آيين نامه**) و (**گهنامه**) وغيرها.

وعدّد حمزة الأصبهانيّ ثمانية كتب في تاريخ الفرس استمدّ منها ما كتبه في تاريخهم، منها (**سير ملوك الفرس**) ترجمة ابن المقفّع.

ونجد في كتاب (**التاج**) المنسوب إلى الجاحظ إقتباساً كثيراً جداً من نظم الفرس وعاداتهم وسلوكهم، يخالطه اقتباس من المأثور عن العرب في الجاهليّة والإسلام.

وليس من شكّ أنّ الفرس الذين ترجموا من الفارسيّة بالعربيّة، والذين ألفوا في العربيّة مؤلّفات شتى في أنواع المعرفة، كان لهم نصيب عظيم في توجيه الحركة العلميّة والسير بها إلى الأمام.

وحيثما نقول إنَّ لهم نصيبًا عظيمًا فإنَّما نعتزف بآثارهم ونُشيدُ بفضلهم، ولا نتناسى الطبريَّ والزمخشريَّ والرازيَّ والبخاريَّ والبيرونيَّ والفارابيَّ وابن سينا وغيرهم. لكننا لا ننسب الفضل كله إلى الفرس فنغمط العرب حقهم من الفضل كما فعل ابن خلدون ومن ساروا على إثره.

شهد القرنان الثاني والثالث الهجريَّان اهتمامًا عديم النظير أوَّلته الأُمَّة الإسلاميَّة للحركة العلميَّة والفكريَّة. وإذا كانت بواكير هذا الاهتمام قد حدثت في الدولة الأمويَّة، فإنَّه يمكن القول بحقَّ إنَّ دولة بني العبَّاس - ولا سيَّما في القرن الأوَّل من عمرها - قد تفوَّقت في هذا المضمار؛ حيث أسدى خلفاء بني العبَّاس ووزراؤهم البرامكة الإيرانيون اهتمامًا بيَّنَّا بالحركة العلميَّة وشجعوا العلماء والمترجمين وهكذا تحوَّلت ثقافات فارس والهند واليونان إلى ثقافة العرب المسلمين ورفدتها بعناصر وأزواد، لم يكن لها بها عهد من قبل وقد تمَّ هذا التحوُّل من طريقين طريق النقل والترجمة، الذي برز فيه ابن المقفَّع وآل نوبخت، وطريق ثان هو تعرُّب شعوب الشرق وانتقالهم إلى العربيَّة حاملين إليها موروثاتهم وفنونهم ومعارفهم.

وقد كان للنفوذ السياسيِّ الفارسيِّ في دولة بني العبَّاس أثر بارز في تحديد طبيعة الصلات الثقافيَّة بين هذين الشعبين في وقت مبكر. حيث كانت الكتب التي موضوعها السياسة الملوكيَّة عند الفرس أولى الكتب التي تُرجمت بالعربيَّة من الآثار الأجنبيَّة في الأدب والسياسة، فوضعت في متناول حكام العرب وقوادهم ثمار تجارب عديدة في الحكم والسياسة، وأصناف من العلوم والآداب كانت تجمع معارف العصر، وشطرًا كبيرًا من التراث الحضاريِّ الإنسانيِّ؛ فكانت هذه التراجم أقدم كتب وُجدت في اللغة العربيَّة في تلك الفنون، وطبيعيَّ أن تكون الحكْم والنصائح والوصايا السياسيَّة والاجتماعيَّة تبعًا لهذه الحال في طليعة الكتب الفارسيَّة التي تناولتها أقلام المترجمين بالنقل والتعريب. وقد نجم عن ذلك أن راج هذا الجنس الأدبيِّ في الأوساط العربيَّة الإسلاميَّة رواجًا منقطع النظير.

وإذا كانت الحكْم والنصائح والوصايا الفارسيَّة وليدة الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة التي سادت في عصر بني ساسان، فإنَّ ميلاد وضع اجتماعيِّ وسياسيِّ مشابه لذلك في العصر العبَّاسيِّ الأوَّل يستدعي تعبيرًا عنه بمثل هذا النمط الأدبيِّ معنًى ومبنىً، والحقيقة التي لا ريب فيها أن الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة في الدولة العبَّاسيَّة تلك، التي تأثرت بنظام الدولة الساسانيَّة وحياتها الاجتماعيَّة، كانت وراء فيض من الحكم التي ترجمها ابن المقفَّع والبلاذريُّ والحسن بن سهل وسواهم في السياسة الملوكيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقيَّة. فضلًا عن دَوْر الكتاب (وجُلهم من الفرس) في هذا المجال، فمنصبُ الكاتب كان

يقضي من صاحبه أن يكون واسع الثقافة متجدد المعرفة، لأنه يعرض على الخليفة أو الوالي ما يُرسل إليه، ويكتب عنه ما يُرسل منه، فلم يكن للكتاب بدٌّ من إجادة العربيّة ومعرفة الأدب الفارسيّ، ووقفوا على تاريخ العرب وتاريخ الفرس، وجمعوا بين حكم الخلفاء الراشدين واكثم بن صيفي، وحكم بزرجمهر وكسرى أنو شروان.

وأهم كتب الحكم والأمثال الفارسيّة التي أثرت في الأدب العربيّ: **بندنامه بزرجمهر**، وكتب التأديب، وكتب سير الملوك **خداينامه**، وكتب التاج «تاجنامه»، و«آيين نامه» و«القصص الرمزيّ».

من الكتب التي أثرت في الأدب العربيّ نذكر **كليّة ودمنة**، أشهر الكتب التي ترجمها ابن المقفع (سنة 133هـ/749م) وكان رأس المترجمين العشرة فضلاً عن أنه ألف في العربيّة عدداً من الكتب مثل **الأدب الصغير** و **الأدب الكبير**، و **اليتيمية في الرسائل**. كما ترجم من الفارسيّة عدداً آخر لم يصل إلينا شيء منه حتى الآن، مثل «خداينامه» في السير، وآيين نامه، والتاج في سيرة أنو شروان⁷. ويُعدّ كتاب **كليّة ودمنة** أحد الكتب التي قرّبت ما بين الأدبين العربيّ والفارسيّ في الوقت الذي أحدث فيهما حركة فنيّة وفكريّة... وكان ابن المقفع قد ترجمه عن البهلويّة التي نُقل إليها من اللغة الهنديّة، ولما ضاع الأصلان الفارسيّ والهنديّ، صارت الترجمة العربيّة أصلاً، ولا سيّما أن ابن المقفع أضاف إليها بعض الأبواب... وأشهر من ترجمها بعد ذلك بالفارسيّة أبو المعاني نصر الله (سنة 539هـ/1144م)، ثمّ تُرجمت غير مرّة بالفارسيّة وغيرها من اللغات العالميّة⁸.

ترجم ابن المقفع هذا الكتاب (الأدب الرمزيّ) ليُصلح انحراف الخليفة المنصور وهو يرجو أن يقرأه الخليفة، فيعدل عن غيّه، وأن يقرأه الشعب فيغضب لظلمه، وإن كان ظاهرُ الكتاب اللهو والتسلية.

اهتمّ الأدباء واللغويّون **بكليّة ودمنة**، ونقلوا منها حكايات وأمثالا كابن قُتبية في **عيون الأخبار**، أو ألفوا على منوالها كما حُكي عن كتاب **القائف** للبخويّ الذي لا يزال مفقوداً، وكتاب ابن الهباريّة في الشعر (الصادح **والباغم**)، الذي طبع عدّة مرّات، وغيرهما⁹.

التأثر بالخصائص الفنيّة للحكم المترجمة:

تأثر أدباء العربيّة وكتّابها في هذا العصر بالخصائص الفنيّة للحكم والنصائح والوصايا المترجمة من الفارسيّة، وإذا كانت النصوص البهلويّة الأصليّة للحكم المترجمة قد فُقدت وحيل بيننا وبين الاطلاع على معظمها، فإنّ

7 - انظر ابن المقفع بين حضارتين، ص 65-165.

8 - دراسات في الأدب المقارن، ص 172 وما بعدها و194 وما بعدها.

9 - م. س، ص 178 و187.

ثمة ظواهر جديدة قد طرأت على طرائق التعبير لدى الكتاب في هذا العصر، لا نرى تعليلاً إلا القول إنهم اقتبسوها عن الأسلوب الفارسي، الذي انتقلت بعض ملامحه وقواعده إلى الكتابة الفنيّة العربيّة عبر المترجمات الفارسيّة في هذا العصر. وهكذا فقد تغيّر أسلوب الكتابة في العصر العبّاسيّ الأوّل تغيّراً واضحاً بعد أن اطّلع الكتاب والمترجمون على ثقافة الفرس وأساليب التعبير لديهم. وعلى العموم فإنّه يمكننا أن نجمل التأثير بأسلوب الحكم والنصائح الفارسيّة في هذا العصر في المظاهر التالية:

1- سهولة الألفاظ ووضوحها وشفافيتها، والعزوف التام عن الألفاظ الحوشية البدويّة، وإيثار التعابير الشديدة الأسر.

2- التعليل المنطقي للأفكار:

فقد اعتاد قداماء العرب أن يُرسلوا حكمهم إرسالاً من غير تعليل أو بيان للأسباب، إذ يكفي أن يقف الحكيم أو الخطيب منهم ليلقي بين أيدي الناس حكمه وآراءه من دون أن يعلّل أو يفسّر أو يبرهن صحة معتقداته وآرائه.

3- استقصاء المعاني:

تميّزت حكم العرب قبل هذا العصر بوثبات ونقلات سريعة يثب فيها الخطيب أو الحكيم من فكرة إلى فكرة من غير جامع أو رابط بين مجموع الآراء والأفكار، التي تتطوي عليها حكمه وآراءه.

4- طريق السؤال والإجابة:

حيث تطلّ علينا في أساليب كتاب هذا العصر صيغة في عرض الحكم والآداب لم تكن معهودة في آثار الحكماء الجاهليين والإسلاميين. ذلك أنّ الأسلوب الوعظيّ التقريريّ هو المتبع والأثير لدى خطباء العرب ووعاظهم وحكمائهم؛ تبعاً لمعطيات قرائحهم وتجليات عبقريتهم وعقلهم. أمّا في هذا العصر فإننا نقف إزاء طريقة جديدة اعتمدها كثيرٌ من كتاب هذا العصر، هي طريقة السؤال والإجابة. حيث يُسأل الحكيم عن رأيه في مسألة من المسائل فيجيب عن ذلك في قالب حكميّ تعليميّ. وحين نتوجّه إلى آثار المصنّفين في هذا الموضوع تواجهنا إشارات كثيرة إلى أمثلة لهذا الأسلوب المتميّز كقول ابن المدبّر في الرسالة العذراء، في ماهية البلاغة¹⁰: "... قال صاحب اليونانيين: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام. وقال الروميّ: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقال الفارسيّ: هي معرفة الفصل من الوصل. وقال الهنديّ: هي البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكتابة عنها... وقيل لهنديّ: ما البلاغة؟- فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم، فيها: أوّل البلاغة احتمال آلة البلاغة. وسئل عمرو بن عبيد: ما

البلاغة؟ - فقال: ما بلَغَكَ الجنَّة، وعدل بك عن النار، ورمى بصرك بمواقع رشدك، وعواقب غيِّك". ومن ذلك أيضاً قول الحصريّ القيروانيّ¹¹ "وقيل لجعفر بن يحيى البرمكيّ: ما البيان؟ - قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويكشف عن مغزائك، ويخرجه من الشرك، ولا يُستعان عليه بالفكر، ويكون سليماً من التكلّف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التّأويل"¹². ونحن نعتقد بأنّ الكتاب والأدباء في هذا العصر، قد ورثوا هذه الطريقة عن كتاب الفرس وحكمائهم؛ فقد ترجمت في هذا العصر كتب تحمل اسم "المسائل"؛ من مثل مسائل أنو شروان الموجهة إلى بزرجمهر وإجابة بزرجمهر إياه، ثم كتاب "مسائل ملك الروم ملك الفرس عن أشياء من الحكمة"، وسوى ذلك من كتب "المسائل" التي أشار إليها ابن النديم في الفهرست وابن مسكويه في الحكمة الخالدة.

5- التقسيم والتفريع:

كذلك يُلاحظ الباحث ظاهرة متميّزة في أساليب كتاب هذا العصر، لعلّها لم تكن معروفة من قبل، ونعني بها تقسيم الفكرة الواحدة إلى أقسام وأجزاء، ثم تفصيل القول وإبداء الرأي في كل جزء أو قسم منها؛ ومثال ذلك قول ابن المقفّع في الأدب الكبير في أصناف الملوك¹³ "اعلم أنّ الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى. فأما ملك الدين فإنّه إذا أقام لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم، ويلحق بهم الذي عليهم، أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم بمنزلة الراضي في الإقرار والتسليم. وأما ملك الحزم، فإنّه يقوم به الأمر، ولا يسلم من الطعن والتسخط. ولن يضرّ طعن الذليل مع حزم القويّ. وأما ملك الهوى، فلعب ساعة ودمار دهر". ولعلّ الفرس كانوا إيّاها يعنون، حين قالوا في البلاغة إنّها معرفة الفصل من الوصل.

6- التجسيم والتشخيص:

وثمة أثر فارسيّ آخر ترك ميااسمه في أساليب الكتاب في هذا العصر، وهو التجسيم والتشخيص، وهو ضرب من التشبيه فيه المشبه به صورة مركّبة، مستمدّة من واقع الحياة، تتطوي أحياناً على معنى ساخر، يقصد إلى التّنفير من حال المشبه به، ووعظ المشبه لئلا يقع في مثل مرزئته. وهو أبلغ في الوصول إلى هذا الغرض من سواه. ومن الشواهد لدى كتاب العصر، قول ابن المقفّع في الأدب الكبير، مصوّراً من يصول على عدوه بقوم ليس منهم على ثقة ولا أمن جانب¹⁴ "وإنّما أنت في ذلك كراكب الأسد، الذي يهابه من نظر إليه، وهو

11 - زهر الآداب ج1، ص 109.

12 - محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص 49.

13 - م.ن، ص.ن.

14 - رسائل البلغاء، ص 51.

لمركبه أهيب". وأحياناً يريد به إبراز المعنى المراد وتجليته كقول صاحب جاويدان خرد في تصوير الحازم حين تتناوبه الآراء والمذاهب¹⁵ "الحازم في ما أشكل عليه من الرأي بمنزلة من أضاع لؤلؤة، فجمع ما حول مسقطها من التراب، فنخله حتى وجدها".

والثابت لدينا أنّ هذه الطريقة قد وجدت سبيلها إلى البيان العربيّ عبر **كثيرة ودمنة** ورسائل أخرى أخلاقية واجتماعية وسياسية فارسية الأصل، تُرجمت في هذا العصر [علمًا أنّ أسلوب المثل، تعرفه العرب من خلال النصّ القرآنيّ].

7- طريقة عرض الحكم والآداب بقالب قصصي:

ولعلّ من معالم الأسلوب الجديد المتأثرّ بأسلوب الحكم الفارسية، طريقة بثّ الحكم والنصائح والوصايا في قالب قصصيّ، يصور فيه الأديب أو الكاتب شخصاً بعينه، قد تحلّى بطائفة من مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال، مما يجعل هذا الكاتب أو الأديب يُكبره، ويحضّ السامع والقارئ على الاقتداء به وترسم خطاه. ومن ذلك- مثلاً- قول ابن المقفّع في الأدب الكبير¹⁶ "إنّي مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينه. كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا تدعو إليه مروءته، ولا يستخفّ له رأياً ولا بدناً. كان لا يأنس عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة. وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يقدم إلاّ على ثقة أو منفعة. وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذي القائلين... فعليك بهذه الأخلاق، إن اطقت، ولن تطيق، ولكنّ أخذ القليل خير من ترك الجميع".

8- التقديم للحكايات في الكتب المتأثرة بكثيرة ودمنة:

لعلّ السمة الأسلوبية البارزة التي انتقلت إلى الكتب والمصنّفات والآثار المتأثرة بكثيرة ودمنة بالذات، هي طريقة التقديم بين أيدي الحكايات، حيث يصدر الكاتب حكاياته بجملة مصوغة في قالب التساؤل، فيقول: "كيف كان ذلك؟"، وهذه ترادف الجملة الفارسية "چگونه بود آن"، ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك بنقل القصّة وسردها بقوله "زعموا أن..."¹⁷، وهذا ما نراه في مقدمات القصص الواردة في كتاب الحيوان للجاحظ وفي غيره من الكتب.

9- تداخل الحكايات في الكتب المتأثرة بكثيرة ودمنة:

كذلك يواجه الباحث ظاهرة أخرى في الأداء، دخلت أساليب المصنّفين الذين عارضوا كثيرة ودمنة بمصنّفات وكتب، كسهل بن هارون، وعلي بن

¹⁵ - الحكمة الخالدة، ص 13.

¹⁶ - محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص 105-106.

¹⁷ - محمد غفراني خراساني: عبد الله بن المقفّع، ص 466.

عبيدة الريحانيّ وسواهم ممّن عزف على هذا الوتر؛ وتلك هي تداخل الحكايات بعضها في بعض في أمثال هذه الكتب، حيث تتطوي كلّ حكاية رئيسيّة على حكايات جانبية، وكلّ منها يتضمّن حكمة أو أكثر. وما من شكّ في أنّ أدباء العربيّة وكتّابها، لم يكن لهم عهدٌ بها من قبل، في ما حفظ لنا من حكاياتهم وقصصهم التي أجروها على ألسنة الحيوانات.

10- طريقة الحوار والمناظرة:

تذكر المصادرُ أنّه شاع في الأدب البهلويّ نزعةٌ شعبيّة ترمي إلى شرح وجهتي نظر متباينتين في قضية أو أكثر. والصيغة المأثورة للتعبير عن وجهتي النظر هاتين هي صيغة المناظرة والحوار والجدل. وقد وصل إلينا من هذه النماذج البهلويّة حوارٌ أدبيّ عنوانه "الشجرة الأشوريّة" أو (دِرخت آسوريك)، موضوعه حوارٌ بين النخلة والعنزة، حيث تمثّل النخلة حياة الاستقرار لدى الأشوريين، في حين تعبّر الثانية عن الحياة الرعويّة لدى الفرس القدماء¹⁸. ويمضي الحوار بينهما بصورة تعرض فيها كلّ واحدة منهما ما تقدمه للناس من خير ومتاع، لتجعل من نفسها في النهاية أفضل من الأخرى.

ويقال كذلك إنّهُ وصلت إلينا رسائلٌ بهلويّة، موضوعها المشروع وغير المشروع (شايست وناشايست) من وجهة نظر العقيدة الزرادشتيّة¹⁹. والواضح أنّ أمثال هذه الرسائل كانت تتطوي على كثير من الحكم والآراء الصائبة، وتقصد إلى توجيه سلوك الأفراد نحو الأفضل في رؤية كتّابها وواضعيها.

والذي يهّمنا في هذا المقام هو أنّ هذه الرسائل قد أثرت في أسلوب الكتابة العربيّة عامّة وفي طريقة الأداء في الموضوعات الحكميّة خاصّة. حيث يرى الباحث كثيراً من كتّاب هذا العصر يعتمدون أسلوب الحوار والمناظرة في بثّ آدابهم وآرائهم وأفكارهم. ومن خير ممّن مثّل هذا الاتجاه في هذا العصر سهل بن هارون والجاحظ. ومن يقرأ رسالة سهل بن هارون التي فضّل فيها البخل²⁰، يدرك بوضوح تام معالم الطريقة الجديدة، حيث يقول في تضاعيفها "وعبتموني حين ختمتُ على سدّ عظيم، وفيه شيءٌ ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبةٍ غريبة، على عبدٍ نهم، وصبيّ جشع، وأمةٍ لكعاء، وزوجة خرقاء. وليس من أصل الأدب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أنّ يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمان الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كل فنّ، واللباب من كل شكل، التابع والمتبوع، والسيّد والمسود". ثم يقول: "وعبتموني بخصف النعال وبتصدير القميص، وحين

18 - دانشنامه جهان اسلام. بإشراف غلامعلي حداد عادل طهران 1379ش [1990م]، مج5، ص 829 ← 833.

19 - دانشنامه، م. ن، ص 832.

20 - انظر هذه الرسالة كاملة في كتاب البخلاء للجاحظ ص 9-16.

زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأوطأ وأقوى وأنفى للكبر وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع.. وقالت الحكماء: لا جديد لمن لا يلبس الخلق". ولعل من أبرز معالم الطريقة الجديدة قول سهل هذا في رسالته التي فاضل فيها بين الزجاج والذهب: "الزجاج مجلؤ نورى، والذهب متاع سائر، والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن، ولا يفقد معه وجه النديم، ولا يثقل اليد، واسم الذهب يتطير منه، ومن لؤمه وسرعته إلى اللئام، وهو فاتن فانك لمن صانه، وهو أيضاً من مصايد إبليس، ولذلك قالوا: أهلك الرجل الأحمران. والزجاج لا يحمل الوضر، ولا يداخله الغمر، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً، وهو أشبه شيء بالماء، وصفته عجيبة، وصناعته أعجب"²¹.

ثانياً- التأثر بالاقْتباس:

يمكن القول بحق إن أوضح صور التأثر بالحكم والنصائح والوصايا الفارسية المترجمة إنما هو "الإقتباس". ذلك أن الباحث في الكتب المصنفة في العصر العباسي يستيقن أن الأدباء والمؤلفين العرب في ذلك العصر، لم يكونوا يستشعرون أي حرج في اقتباس العبارات أو الأفكار أو النصوص من كتب الآداب والحكم الفارسية المترجمة. على أن السمة المميزة لهذا الإقتباس أنهم كانوا يخضعون النصوص والعبارات المقتبسة لبيانهم وأساليبهم ومقدرتهم على صياغة المعاني وإخراجها في حلل جديدة. وسنتبين في الصفحات التالية من هذا البحث كيفية تعاملهم مع المصادر الفارسية التي استقوا منها مادتهم المقتبسة، ثم نعرض للتغيرات التي كانوا يجرونها على نقولهم ومقتبساتهم عندما يضمّنونها كتبهم ومؤلفاتهم. ومن هنا فإن حديثنا سيكون موزعاً في اتجاهين اثنين: صلتهم بالمصادر الفارسية، ثم صياغتهم للمادة المقتبسة.

أ- الصلة بالمصادر الفارسية:

يُعرض أغلب المصنّفين والكتّاب المتأثرين أو المقتبسّين عن ذكر مصادر مادّتهم المقتبسة، وقلّ أن تجد منهم من يعمد إلى ذكر الكتاب الذي أخذ عنه أو نقل منه. وعلى الإجمال فإنهم قد اتخذوا الطرائق التالية في تعاملهم مع المصادر:

- 1- يصرّح الكاتب أحياناً باسم الكتاب الفارسي الذي نقل منه مادته، كقول ابن قتيبة "وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه" أو قرأت في كليلة ودمنة.
- 2- يذكر الكاتب أحياناً أنه أخذ مادته من كتاب للعجم، من دون تحديد لكتاب بعينه، ومثل هذا المسلك غير قليل في مؤلّفات الجاحظ وابن قتيبة وسواهم.

3- ينقل الكاتب أحياناً حكماً فارسيّة قائلًا "وكانت الحكماء تقول: كذا..."، ومن ذلك قول ابن قتيبة²² "وكانت الحكماء تقول: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان".

4- يكثر أن يذكر الكاتب حكمة أو نصًا بادلًا بالقول "وكان يقال..."، ومثاله قول ابن قتيبة²³ "كان يُقال: لا سلطان إلاّ برجال، ولا رجال إلاّ بالمال، ولا مال إلاّ بعمارة، ولا عمارة إلاّ بعدل وحسن سياسة" من غير إشارة إلى المصدر.

5- يغلب أن يذكر المؤلف حكمة فارسيّة منسوبة إلى حكيم بعينه، ولكن لا يشير إلى مصدره في ذلك كقول الجاحظ²⁴ "وقيل لبزرجمهر بين البختكان الفارسيّ: أي شيء للعبيّ؟- قال: عقل يجمله. قالوا: فإن لم يكن له عقل. قال: فمال يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال. قال: فأخوان يعبرون عنه. قالوا: فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه. قال: فيكون صامتًا. قالوا: فإن لم يكن ذا صمت. قال: فموت وشيك خير له من أن يكون في دار الحياة".

6- يذكر المصنّف أحياناً مقتبساته ونُقله مسندًا إيّاها إلى العجم مع إغفال ذكر المصدر الذي استقى منه، كقول ابن قتيبة²⁵ "والعجم تقول: كل عز دخل تحت القدرة فهو ذليل".

7- يلجأ المصنّف في بعض الأحيان إلى إسناد نقوله إلى سلسلة من الرواة بعضهم معروف وبعضهم غير معروف، كقول ابن قتيبة²⁶ "حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام مولى دفيف مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال: قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار".

8- يسند بعض المصنّفين نقوله ومقتبساته إلى القدماء، فيقول، "وكانت القدماء تقول...".

9- كثيرًا ما يلجأ المصنّفون إلى اقتباس حكمة أو عبارة بليغة من أصل فارسيّ مترجم، وينحلونها أشخاصًا لا تمت إليهم بصلة، وقد يُجرون عليها بعض التحوير بقصد التمويه والتعمية. ومن ذلك- على سبيل المثال- أنه جاء في تذكرة ابن حمدون قوله²⁷ "قال علي بن أبي طالب- عليه السلام- صاحب السلطان كراكب الأسد، يُغبط بموقعه، وهو أعلم بموضِعِهِ". وهذه الحكمة صحيحة النسبة إلى كليلة ودمنة. وأوردها صاحب عيون الأخبار على هذا

22 - عيون الأخبار، ج، 1، ص 5.

23 - المصدر السابق، ج، 1، ص 9.

24 - البيان والتبيين، ج، 1، ص 7-8.

25 - عيون الأخبار، ج، 2، ص 2.

26 - عيون الأخبار، ج، 1، ص 6.

27 - كتاب السياسة والأدب الملوكية، ص 69.

النحو²⁸ "وقال ابن المقفع: مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد، يهابه الناس، وهو لمركبه أهيب" ومن هذا القبيل أيضاً قول الماوردي²⁹ "وقد قال العباس بن عبد المطلب: إذا اشتبه عليك أمران، فدع أحبهما إليك، وخذ أثقلهما عليك"؛ وتجمع المصادر على أن هذه الحكمة لبزرجمهر. حيث يقول ابن قتيبة³⁰ "إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر في أيهما الصواب فانظر أقربهما إلى هواك، فاجتنبه".

10- قد يُبدلون اسم الملك أو الحكيم صاحب العبارة أو النص المقتبس، فيقولون: "قال بعض الملوك" أو "بعض الحكماء" أو "قال الأولون منا"، ونحو ذلك مما نطالع في مصنفات ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة، ومن تلاهم من كتاب العصر العباسي ومصنفيه.

ب- أوضاع النصوص المقتبسة في المصنفات العربية:

يلاحظ الباحث أن المصنفين القدامى لم يكونوا يأخذون موادهم المستقاة من المصادر الفارسية من غير أعمال أو تعديل، بل إنهم غالباً ما يخضعونها لبعض التغييرات التي تفقدها كثيراً من أماراتها وسماتها الفارسية. وعلى العموم فإن أهم ما يلاحظ في استخدامهم المواد المقتبسة هو:

1- التصرف في العبارة المنقولة:

تعدّ هذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي تبدو للباحث عند دراسة كيفية استخدام المؤلفين للمادة الثقافية التي يقتبسونها من كتب الحكم الفارسية المترجمة.

فقد أملت عليهم براعتهم الأدبية، وتمكّنهم من ناصية اللغة ورغبتهم في تجاوز الحدود المرسومة والعبارات المألوفة، تحرراً من أسر الدقة وتمرداً على مقتضيات الأمانة العلمية، فأخذوا يصوغون النصوص المقتبسة صياغة جديدة، تُبعدها بُعداً مفرطاً عن الأداء الأصلي لمترجمها. وينجم عن ذلك طمس المعالم الأصلية لهذه النصوص، وتواري المترجمين البارعين. ويمكننا أن نعيد إلى هذه الظاهرة تلك الاختلافات الكبيرة بين مقتبسات القدماء من كليلة ودمنة وما بين أيدينا الآن من متون هذا الكتاب.

2- الجمع والتأليف بين كتب ومقتبسات فارسية وعربية مع التمييز

بينها:

لقد كان من صور تعامل المصنّفين مع المقتبسات من المصادر الفارسية- في العصر العباسي الأول- أنّهم كانوا يأخذون نصّاً أو رسالة، وأحياناً كتاباً فارسياً فيضمّون إليه مطالب ومقتبسات عربية في الغرض ذاته؛ ليجعلوا من

28 - عيون الأخبار، ج1، ص 37.

29 - الفهرست، ص 316.

30 - المصدر نفسه، ج3، ص 76-80.

المجموع كتابًا جديدًا في اسمه ومضمونه، وبين أيدينا صورة من المصنفات التي سلك فيها مؤلفوها هذا المسلك، وهي ما فعله ابن مسكويه (421هـ) في كتابه **أدب الفرس والعرب** الذي بناه على أساس رسالة فارسيّة، هي "جاويدان خرد" أو الحكمة الخالدة، ثم أضاف إليه موادّ ثقافيّة ذات مصادر فارسيّة وهنديّة وروميّة وعربيّة، وأسمى هذا الموضوع "أدب الفرس والعرب". ويُرجّح أن يكون الكتاب الذي ذكره ابن النديم لعليّ بن ربّان النصرانيّ (260هـ) في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب قد دار في الفلك ذاته³¹.

3- الجمع بين عناصر فارسيّة وعربيّة من غير تمييز بينها:

يلجأ المصنّفون في بعض الأحيان إلى الدمج بين مطالب ومقتبسات فارسيّة وعربيّة من غير إشارة إلى ما هو فارسيّ وما هو عربيّ منها. ومن ذلك ما جاء عند ابن عبد ربّه في **العقد الفريد**، حيث عقد فصلاً خاصاً لحكم أكثم بن صيفي وبزرجمهر، أورده تحت عنوان "حكم أكثم بن صيفي وبزرجمهر"³²، ولكن من غير الممكن أن يفصل بين ما لكلّ منهما من حكم.

4- اتخاذ مصنف فارسيّ أساساً لكتاب جديد ينطوي على مطالب وأفكار

عربيّة:

وهذه صورة أخرى من صور الاقتباس لدى المصنّفين العرب، وفيها يعتمد الكاتب إلى كتاب فارسيّ فيجعل منه أساساً يضمّ إليه مطالب وأفكاراً عربيّة من نوع أفكاره وموضوعاته. وهذه الطريقة أقرب إلى الدمج التام منها إلى الاقتباس؛ حيث يستطيع الكاتب بأسلوبه وبراعته في التأليف والتنسيق أن يغيب الملامح الأصليّة لمقتبساته ونُقله، فيظهر كتابه وحدة متماسكة الأجزاء مستقلة الطبيعة. ومثاله في ذلك العصر كتاب **التاج في أخلاق الملوك** المنسوب إلى الجاحظ. حيث نميل إلى الاعتقاد أنه وُضع على أساس كتاب ساسانيّ تُرجم في عصر الجاحظ، فأضاف إليه مؤلفه معارف وأخباراً تتصل بخلفاء بني العباس، ووصفاً لبعض ما كان يجري في مجالسهم.

5- التلخيص والاختيار:

إنّ إيثار العبارة الجميلة والنكته الطريفة والملحة النادرة، أملى على كثير من المصنّفين في العصر العباسيّ أن يلجأوا في مصنفاتهم إلى طريقة الاختيار والانتخاب من محصولهم الثقافيّ والفكريّ، فكنا نجد عندهم - بتأثير هذه النزعة غالباً - طائفة كبيرة من كتب الاختيارات والمجالس والأمال. وقد طبّقوا نظريتهم تلك على بعض الكتب الفارسيّة التي تُرجمت في هذا العصر. وكان من هذا القبيل صنيعهم مع الكتاب الخالد "**كليلة ودمنة**" حيث تذكر المصادر أنّ كثيرين من الكتاب قد تناولوا الكتاب بالتهذيب والاختيار واستخلاص القصص

³¹ - الفهرست، ص 305.

³² - أدب الدنيا والدين، ص 216.

15
الرائعة والحكم البديعة. يقول ابن النديم³³ "ولهذا الكتاب (كليلة ودمنة) جوامع وانتزاعات عملها جماعة منهم ابن المقفع، وسهل بن هارون، وسلم صاحب بيت الحكمة، والمربد الأسود، الذي استندعاه المتوكل في أيامه من فارس". ويبدو لنا أنّ هذه الجوامع والانتزاعات ليست إلاّ تلخيصات واختصارات لبعض ما انطوى عليه هذا الأثر القيم من موضوعات طريفة وأفكار أثيرة إلى الأفهام. ولا نشك أنّ مثل هذا الجمع والانتزاع قد وجد طريقه إلى آثار حكمية فارسية كثيرة عدا هذا الكتاب.

6- إيراد حكم عربيّة وفارسيّة في فكرة محدّدة:

تعدّ هذه الصورة من أكثر صور الاقتباس شيوعاً في المصادر العربيّة التي استقت من حكمة الفرس وآدابهم. وتطالعنا بكثرة في البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة، وفي مصنّفات متأخرة عن العصر العباسيّ الأوّل، كالعقد الفريد لابن عبد ربّه، وبهجة المجالس للقرطبيّ، وأدب الدنيا والدين للماورديّ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، وتذكرة ابن حمدون، وكتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة، وأمثالها من كتب الآداب والاختيارات. ونكتفي للتدليل على هذا الضرب من ضروب الاقتباس بهذين المثالين:

1- يقول الماورديّ³⁴ "وأما الاعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساويء، ويكسب المذام، ويصدّ عن الفضائل. وقد روي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال "إنّ العُجب ليأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب". وقال عليّ بن أبي طالب- كرم الله وجهه-: الإعجاب ضدّ الصواب، وآفة الألباب. قال بزرجمهر: النعمة التي لا يُحسدُ صاحبها عليها: التواضع، والبلاء الذي لا يُرحمُ صاحبه منه العُجب".

2- يقول القرطبيّ³⁵ قال الأحنف: الأدب نورُ العقل، كما أنّ النار في الظلمة نورُ البصر.

قال الأصمعيّ: ما من مطية أبلغ دركاً، وهي وادعة، من الأدب.
قال بزرجمهر: أرفع منازل الشرف لأهله، العلم والأدب. وهكذا فإنّ المصنّف يطرح فكرة أو موضوعاً معيّنًا، ثم يورد ما جاء بشأنه من الأقوال الحكيمة للعرب والفرس على حدّ سواء. ثم يأتي بفكرة أخرى فيورد ما ذكر للحكماء- من العرب والفرس- في شأنها من الحكم والآراء. ثم تمضي الأمور على هذا الوجه.

ثالثاً- نظم المتون والأفكار الحكميّة المترجمة:

³³ - بهجة المجالس، ص 110.

³⁴ - انظر محمد غفراني الخراساني: عبد الله بن المقفع، ص 255.

³⁵ - الجهشباري: الوزراء والكتاب، ص 211. وقد بقي من هذه المنظومة ستة وسبعون بيتاً انطوى عليها كتاب الأوراق للصولي ص 47- 50.

قلنا من قبل إن الأوساط الثقافية العربية في العصر العباسي الأول أبدت احتفاءً كبيراً بالترجمات الحكمية الفارسية، حيث أحلها الأدباء والكتاب سويداء قلوبهم. ويمكننا القول- بصورة عامة- إن أبرز مظاهر هذا الاهتمام بأداب الفرس وحكمهم ووصاياهم السياسية والاجتماعية، هو أن طائفة من شعراء هذا العصر قد سخرت عبقريتها ونوعها لنظم المواد الثقافية الفارسية، التي نقلها إلى العربية ابن المقفع وأضرابه. وكان ذلك قرباناً يقدمه هؤلاء الشعراء بين أيدي أرباب نعمتهم ورؤسائهم ممن يجري في عروقهم الدم الفارسي؛ حيث يفتح لهم مستغلات الأبواب، ومرتجات الخزائن. فقد نظم أبو سهل الفضل بن نوبخت- وهو ممن خدم المنصور والمهدي- كتاب **كليلة ودمنة**³⁶ شعراً. كما تصدى أبان اللاحقي لنظم هذا الكتاب؛ لأن يحيى بن خالد البرمكي "اشتهدى حفظ كليلة ودمنة، فقلبه أبان شعراً؛ ليسهل عليه حفظه"³⁷. كذلك تضيف المصادر أن أبان هذا نظم سيرة أنو شروان وسيرة أردشير وكتاب مزدك³⁸. وممن نظموا **كليلة ودمنة** في هذا العصر أيضاً علي بن داود، كاتب زبيدة بنت جعفر، وبشر بن المعتمر³⁹.

ومن المتون الحكمية الفارسية التي نُظمت في أواخر هذا العصر عهد أردشير، الذي نظمه البلاذري المؤرخ المشهور صاحب **فتوح البلدان**⁴⁰. وهناك صورة أخرى للنظم، يقتصر فيها الشاعر على نظم فكرة واحدة، أو عبارة حكمية لا يتعداها. من ذلك- مثلاً- أن شاعراً سمع أو قرأ قول بزرجمهر "إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تبقى، وإذا أدبرت عنك فانفق فإنها لا تبقى" فقال:

فأنفق- إذا أنفقت- إن كنت موسراً
وأنفق- على ما خيلت- حين
تعسر

فلا الجود يُفني المال، والجِدُّ مقبلٌ
والجِدُّ مُدبرٌ⁴¹
ولا البخل يُبقي المال،

ومن ذلك أيضاً أن ابن المعتز سمع قول أردشير لابنه "يا بني، لا تمكن الناس من نفسك؛ فإن أجراً الناس على السباع أكثرهم لها معاينة"، فقال:

رأيت حياة المرء تُرخص قدره
فإن مات أغلته المنايا
الطوائح

كما يُخلق الثوب الجديد ابتذالُه
كذا تُخلق المرء العيون اللوامح⁴²

36 - الفهرست، ص 118 و 163.

37 - الفهرست، ص 305.

38 - المصدر نفسه، ص 113.

39 - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج3، ص 179.

40 - القرطبي، بهجة المجالس، ص 49.

41 - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 15.

42 - رسائل الجاحظ (نشر عبد السلام هارون)، ج1، ص 304.

ومن هذا القبيل أيضاً أن أحد الشعراء سمع قول سابور بن أردشير "العقلُ نوعان: أحدهما مطبوعٌ، والآخر مسموعٌ، ولا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه" فقال:

رأيتُ العقلَ نوعَيْنِ	فمسموعٌ ومطبوعٌ
ولا ينفَعُ مسموعٌ	إذا لم يك مطبوعٌ
كما لا تنفَعُ الشمسُ	وضوءُ العينِ ممنوعٌ ⁴³

رابعاً- مضاهاة الحكم والآداب المترجمة (التأثر المضاد أو المعاكس):

ومن ضروب التأثر بالحكم والآداب الفارسية ما يُسمّى بالتأثر المضاد أو المعاكس. وهو يعني أن بعض الأدباء والشعراء العرب في هذا العصر راحوا يردّون على المتعصبين للفرس بأنّ العرب قد سبقوهم إلى تلك الحكم والآداب والمعاني الجميلة، بل بزّوهم في الكثير منها. وحين أعوزهم الدليل لم يتورّعوا عن الوضع والنحل. وقد أخذ الجاحظ على عاتقه مهمّة الردّ على هؤلاء المتعصبين لحكمة الفرس ودفع غائلتهم. وتَحفّلُ كتبه بالإشارات الدالّة على موقفه هذا، كقوله- مثلاً-⁴⁴ "وقال حكيم الفرس حين بلغه موت الاسكندر- وهو قاتل دارا بن دارا-: ما ظننتُ أنّ قاتل دارا يموت. وهذا القول مدح منه لقاتله. ولم أسمع للعجم كلمة قطّ أمدح منها. فأما العرب، فقد أصبتُ لهم من هذا الضرب كلاماً كثيراً". ولا غرابة في ذلك بالنسبة إلى أبي عثمان، فقد كان يحمل لواء الدفاع عن العرب والردّ على خصومهم من الشعبويّة. ولعلّ في هذا- أيضاً- تفسيراً لكثرة كتب "الردود"، من مجموع كتبه.

ومن صور المضاهاة ما جاء في رسالة الأمل والمأمول المنسوبة إلى الجاحظ من قوله⁴⁵ "وللفارسيّ: نه هَرَجَا كِه دود آيد دود خوراك است ... ليس كل دُخانٍ دخانٍ طيبخ، ربما كان دخان كِي. المعنى: لا تطمّع في كل شيء حتى تختبره. وللعرب في هذا "لا تطمّع في كل ما تسمع". فلم يطب له أن يذكر حكمة للفرس في معنى معيّن من غير أن يذكر إلى جانبها حكمة للعرب في الفكرة ذاتها.

ولعلّ خير ما يصرّ هذا النوع من التأثر، ذلك المصنّف الذي ألفه أبو عبد الله محمّد بن حسين بن عمر اليمينيّ (ت 400هـ) وسمّاه "مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب".

وقد قصد هذا المصنّف من صنيعه إلى أن يُظهر تقدّم العرب من الجاهليين والإسلاميين، وسبقهم في مضمار الآداب والحكم، حيث يقول⁴⁶

43 - رسالة الأمل والمأمول، ص 70.

44 - مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة، ص 3.

45 - المصدر نفسه، ص 14.

46 - المصدر نفسه، ص 39-40.

"فأحببت أن أنبه ذوي الألباب بمضاهاة أمثال هذا الكتاب على ما ضمت مثله أشعار المتقدمين من الجاهليين والإسلاميين، الذين لم يعن لهم نقل حكم الأولين، ولا خرجوا من باديتهم إلى الحضر، ولا قرأوا كتب السياسة والسير". ومن صور المضاهاة التي انطوى عليها مصنفه أنه قال⁴⁷ "قال صاحب الكتاب (يريد **كليلة ودمنة**): ويقال في أمور ثلاثة لا يجرؤ عليها إلا أهوج، ولا يسلم منها إلا قليل: صُحبة السلطان، وركوب البحر، وشرب السم للتجربة. قال عبد المجيد الثقفي:

فصاحب سلطان وراكب لجة سواء إذا حصلت والشارب السما
ويقول⁴⁸ "قال صاحب الكتاب: ويقال: الفاقة بلاءً والسقم بلاءً والغربة بلاءً، ورأس البلاء الهرم. قال بعض المعمرين:

لا تعذلاني، فمتلي اليوم لم يلم بليت مغترباً بالسقم والعدم
هذا البلاء وأبلى منه نائبة رمت صفاتي على الأيام بالهرم
وعلى هذا الغرار يمضي في بقية مصنفه، حيث يذكر إلى جانب كل حكمة من حكم **كليلة ودمنة** بيتاً من الشعر العربي في مضمون هذه الحكمة، زاعماً أن ما يورد من أشعار في هذا الكتاب إنما هو من أشعار المتقدمين من شعراء الجاهلية والإسلاميين. وهو يقصد من هذا إلى نفي الظن بتأثر ناظمي هذه الأشعار بما جاء في **كليلة ودمنة**.

وبوجه عام، فإن كثيراً من كتب المنتخبات العربية لم تتحرر من هذه النزعة، التي ترمي إلى إعلاء شأن العرب من طريق العبارة الجميلة والمعنى الأسر والفكرة السنية.

خامساً- المحاكاة والتقليد:

وثمة صورة أخرى لتأثر العرب بحكم الفرس ونصائحهم ووصاياهم في هذا العصر، هي إحتذاء الآثار الفارسية المترجمة في هذا الموضوع، والسير على هداها، وإبداع نتاجات أدبية على مثالها. فظاهر بن الحسين يوصي ابنه عبد الله- حين ولّاه المأمون الرقة ومصر- بوصيته المشهورة، التي لم يدع شيئاً يمكن أن يحتاجه هذا الابن من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية إلا استوفاه فيها⁴⁹، ويلمح الباحث وجوه شبه كثيرة بين هذه الوصية وعهد أردشير بن بابك إلى الملوك من بعده.

وابن شبرمه يقول لابنه "يا بُني، إياك وطول المجالسة؛ فإنَّ الأسدَ إنَّما يجترى عليها من أدام النظر إليها". وهو من غير شك سمع قول أردشير لابنه

47 - انظر هذه الوصية في مقدمة ابن خلدون، ص 304-311.

48 - القرطبي بهجة المجالس، ص 49.

49 - انظر هذه الوصية في مقدمة ابن خلدون، ص 304-311.

"يا بني، لا تمكّن الناس من نفسك؛ فإنّ اجراً الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة"⁵⁰.

وعمر بن مسعدة الكاتب يقول: "أعظم الناس أجراً، وأنبهم ذكراً، مَنْ لم يرض. بموت العدل في دولته، وظهور الحجة في سلطانه، وإيصال المنافع إلى رعيته في حياته. وأسعدُ الرعاة مَنْ دامت سعادة الحقّ في أيامه، وبعد وفاته وانقراضه"⁵¹.

وقوله هذا صدّي من أصداء عهد أردشير وظلّ من ظلاله.

وحكم الخلفاء- أيضاً- دارت في أفلاك فارسيّة؛ فالمأمون يقول "أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى"⁵². وكأنّه قد قرأ ليومه عهد أردشير، حيث يقول "واعلموا أنّ لكلّ ملك بطانة، وإنّ لكلّ رجل من بطانته بطانة؛ ثم لكلّ رجل من بطانة البطانة بطانة، حتى يجتمع ذلك في جميع أهل المملكة، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب، أقام كلّ امرئٍ منهم بطانته على مثل ذلك، حتى تجتمع على الصلاح عامّة الرعية"⁵³. ويتراءى لنا الروح الفارسيّ في قول هذا الخليفة: "الرجال ثلاثة: فرجل كالغذاء، لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء، يُحتاج إليه في بعض الأوقات، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبداً. وقال: ثلاثة لا عار فيهم، الفقر، والمرض، والموت"⁵⁴. ربّما أمكننا القول بعد هذا إنّ الكتاب والوزراء والخلفاء، في هذا العصر، قلّدوا في حكّمهم وآدابهم حكّم الفرس وآدابهم، فجاؤوا من ذلك بنماذج رائعة وبدائع جامعة، قاربوا فيها فرسان الحكمة الفارسيّة وجاروهم في مضمار واحد.

سادساً- المعارضة:

تعني المعارضة- كما هو معلوم- أن يأتي كاتبٌ أو شاعر بصنيع مماثل لصنيع كاتب أو شاعر كان تقدّمه في طرُق موضوع من موضوعات النثر أو الشعر. وفي هذا المقام يستطيع دارس التراث الأدبيّ أن يقرّر أنّ أدباء هذا العصر وكتابه قد عارضوا حكّم الفرس ونصائحهم ووصاياهم، التي قيّض لها أن تُترجم في هذا العصر. وإذا كنا نميل إلى الاعتقاد أنّ كثيراً من المؤلفات الحكميّة التي عارض فيها أصحابها كتب الحكّم والآداب الفارسيّة المترجمة قد أسدل عليها الدهر حجاباً صفيقة أمانتها وقطعت أخبارها عن الباحثين، فإنّنا نكتفي بالإشارة إلى بعض الأدباء الذين عارضوا ذلك الأثر النفيس كليلة ودمنة ونسجوا على منواله، وترسّموا خطى مؤلفه. فالمصادر تذكر أنّ سهل بن

50 - القرطبي، بهجة المجالس، ص 49.

51 - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج3، ص 61.

52 - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص 23.

53 - عهد أردشير (تحقيق إحسان عباس)، ص 71.

54 - جعفر بن شمس الخلافة: كتاب الآداب، ص 42.

هارون كان ممن عارضوا هذا الكتاب بكتابين له هما **ثعلبة وعفراء**، و**النمر والثعلب**⁵⁵. وربما كان عارض هذا الكتاب بكتابين آخرين هما **المخزومي والهدلية** و**الوامق والعذراء**، والأرجح أن يكون أجرى حكاياته فيهما على السنة البشر لا على السنة الحيوان⁵⁶.

كذلك ألف علي بن عبيدة الريحانيّ- وهو من معاصري سهل- كتابًا سمّاه كتاب **النملة والبعوضة**، يرجّح أن يكون عارض فيه سلفيه وابني أرومته. كما ذكرت له المصادرُ كتابًا آخر يبدو أنه ذو صلة وثيقة بهذا الموضوع، وهو كتاب **ورود ودود الماكنين** (الملكين في رواية)⁵⁷.

وممن يُعتقد أنهم عارضوا كليلة ودمنة، أو بتحديد أكثر عارضوا كتب سهل ابن هارون التي كانت عارضت **كليلة ودمنة**، عليّ بن داود المعروف بكتاب **زبيدة**. ويذكر له في هذا المجال كتاب **الجرهمية وتوكيل النعم** وكتاب **الحرّة والأمة**، وكتاب **الظراف**⁵⁸.

وفي هذا السياق، يكفي أن نقرأ كتاب **البخلاء**، لنندرك عمق ذلك التمازج الحضاريّ والفكريّ والاجتماعيّ المدهش، الذي عبّر عنه الجاحظ بأسلوب طريف واصفًا بخلاء العرب والفرس على حدّ سواء.

تأثير اللغة الفارسيّة في الألفاظ المعرّبة:

إنّ هذا التفاعل التاريخيّ- بكلّ صورته وأشكاله- بين الأمتين العربيّة والفارسيّة على امتداد العصور، أدّى إلى نفاذ مئات من المفردات الفارسيّة في اللسان العربيّ، ولا يخفى وجود الألفاظ المعرّبة في الشعر الجاهليّ وفي القرآن الكريم، ومن الدخيل الفارسيّ¹⁴ الذي ورد في الشعر الجاهليّ وفي القرآن الكريم: لفظة **الإبريق** (س الواقعة، ي 17 - 18)، معرّب "آب ريز" (آب= الماء وريز من ريختن: الصب)، و**الاستبرق** أي الديباج الصفيق الغليظ وهو معرّب "استبر"، ورد في (الرحمن/ 54، والكهف/ 31، والدخان/ 53، والإنسان/ 21)؛ ولفظة **السجّيل** (الفيل/ 4، وهود/ 80، والحجر/ 74) حجارة كالطين اليابس أصلها "سنگ" و"گل" أي الحجارة والطين، ولفظة **سُرّادق** (الكهف / 29)، أصلها في الفارسيّة سردر أو سراپرده؛ و**المِسك** (المطففين / 26)، أصلها الفارسيّ مشك، ولفظة **المقاليد**، أي المفاتيح (الشورى / 12، والزمر / 63)، واحدها الإقليد والمقليد، أصله كليلد الفارسيّ، وقال ابن منظور في مادّة **قَلَد**، إنّ اللفظ مشترك بين الفارسيّ والروميّ واليمانيّ والكرديّ.

ومن الألفاظ ما حافظ على صورته ولفظه، ومنها ما يصعب تشخيصه، نظرًا للتغيرات الكبيرة التي طرأت على اللغة الفارسيّة- حروفًا وقواعد- من جهة. أو لما شاب- من جهة أخرى- هذه المفردات من تصحيف أو تحريف، أو داخلها

⁵⁵ - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج3 ص 34- 35.

⁵⁶ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، ص 535- 536.

⁵⁷ - انظر بشأن هذين الكتابين وكتب علي بن عبدة الأخرى: الفهرست، ص 119.

⁵⁸ - الفهرست، ص 120.

من قلب أو إبدال⁵⁹، عندما تصرّف بها العرب لتتلاءم والجرس الموسيقيّ للغة العربيّة، من خلال:

- حذفهم من الأصل الفارسيّ للكلمة، أحرفاً من أولّها، أو من وسطها، أو من آخرها، فقالوا: **مارستان**، من **بیمارستان** [مشفى أو مستشفى]، و**شفارج**، في شباره [الطبق عليه القصاع]، و**جلوز** معرّب بندق، **جالفوزه** معرّب چلغوزه [حبّ الصنوبر الكبار، وقيل البندق، علمًا أن ÷ بندق أصلها هندي دخلت الفارسيّة ومنها دخلت العربيّة].

- زيادتهم حروفاً على الأصل الأعجميّ: فقالوا: **ترّهات**، في: **راه** [طريق].

- إبدالهم الحروف- وهو كثير- فاستبدلوا:

بالجيم الفارسيّة (ج) الصاد أو الشين.
بالكاف الفارسيّة (ك) الجيم: **گرگان**: جرجان، أو **الغين**: **گربال** غربال.
بالحاء الحاء، **خربا**، **حرباء**.
بالباء الفارسيّة (ب) الفاء: **أصيهان**: **إصفهان**، **پنگان**: **فنجان**، **پوز**: **بوز**.
بالكاف القاف: **گربه**: **قربج** و**قربق** (أي الحانوت)، **خندك**: **خندق**.
بالسين الصاد: **ساروج**: **صهريج**.
بالتاء الطاء: **تهران**: **طهران**، **تباشير**: **طباشير**.
بالشين الزاي أو السين: **شكر**: **سكر**، **مشك**: **مسك**، **بنفشه**: **بنفسج** ...
إلخ.

زيادتهم "جيمًا" أو "قافًا" في آخر الألفاظ المنتهية عموماً بالهاء، فقالوا:
برنامه: **برنامج**، **باشه**: **باشق**.

- تصرّفهم باللفظة الواحدة بوجوه عديدة، فقالوا في: **تن پور**، **تنبور** و**تنبّل** و**تنبال** و**تنبول** و**تنتل** (وهو المذموم القصير القامة) أو (الكسلان في العاميّة). - اشتقاقهم أفعالاً، ليس من الألفاظ المعرّبة فقط، بل ربما في اللفظ الفارسيّ الصرف، كقولهم من لفظة "جندره" (الخشبة التي يطرق أو يُصقل بها القماش): **جندر الكتاب**، أي أمرّ القلم على ما درس منه **لُتبيّن**، وإذ به يصبح: **جندر يُجندرُ جندرة**، والأمر: **جندر يا فلان**... الملاحظ في المرحلة الأولى من التفاعل، أنّ العرب استخدموا المصطلحات الأجنبية، بعد أن أخضعوها لأنظمة تلفظ العربيّة، وأوزانها.

استخدموا للخمرة **الباذق** 49 تعريباً لـ "باه" الفارسيّة وصرّفوها كما يُصرّفون اللفظ العربيّ الأصيل، و**البيادقة**: الرجالة، و**البيذق** حجر الشطرنج، وقال المتنبّي:

أبذرق ومعى سيفي، وقاتل حتى قتل، والبذرقّة = الخفارة، تعريب بدرقة بالفارسيّة..

وقالوا **الدهقان** وأصلها "دهگان" مالك الأرض، وجمعوها: **الدهاقنة**؛ وعربّوا الأعياد الفارسيّة واشتقوا منها أفعالاً ومصادر: فقالوا **النيروز** "نوروز" وقالوا نورزنا، و**السّدق** و**السّدق** 50 (تعريب سدّه أحد أعياد الفرس)، و**مهرجان** 51، (تعريب مهرگان، أحد أعياد الفرس)، وقالوا **مَهْرَج** و**تَمَهْرَج**، واخذوا لفظة "**مَهْر**" (الخاتم بالفارسيّة) وبنوا منه فعلاً، وقالوا **مَهْر**، وربما جاءت لفظة **المَهْر** بمعنى الصّدق من **مَهْر** (أي المحبّة والعلاقة الخالصة).. واستعملوا لمائدة الطعام لفظة "**الخوان**" 52، وجمعوه **الأخونة** ولفظة "**الطاجن**" 53، معرّب "تايه" 54، و**الجوزينق** 55، (حلوى معرّب "گوزینه" و**الفالوذج** 56، و**الفالوذق** (نوعٌ من الحلواء معرّب "پالوده"، وجمعوه **الفواليد**..

وذلك على غرار ما هو حاصل في أيّامنا هذه من تطويع النحت اللغويّ العربيّ بعض الألفاظ الأجنبية للاشتقاق، فقالوا: **تَلْفَن** يُتَلْفَنُ **تَلْفَنَةً**، من "تلفون"، أي الهاتف، و**دَبَلَج** يُدَبَلَجُ **دَبَلَجَةً** من "دوبلاج"، الإنطاق بلغة أخرى (كما في المسلسلات التلفزيونيّة المذبذجة).

والحقيقة أنّ هذا التكيف التناغمي الذي طرأ على المفردات الأعجميّة عند دخولها العربيّة، هو ضرورة لا بُدّ منها، لأنّ أيّ لغة عندما تستعير بعض المفردات من لغة أخرى، فإنّها تُجري على تلك المفردات عمليّة تُسمّى: "التكيف التناغمي" قبل أن تُطلقها في محيطها الجديد، ذلك أنّ لكلّ لغة جرساً موسيقياً خاصّاً بها، يرفض الوئام إلا مع من يجيد العزف على أوتار اللغة والتجاوب (التناغم) معها.

في العصر العبّاسيّ تجاوز تأثير الآداب والحكم الفارسيّة التي تُرجمت بالعربيّة النثر إلى **الشعر**، وبما أنّ المجتمع العبّاسيّ قد تأثر بالآداب والتقاليد والعادات الفارسيّة، كان من الطبيعيّ أن ينساق الشعر أيضاً في هذا التيار، فبتأثير بهذا اللون الجديد من الحضارة وهذه الثقافات المختلفة الطارئة. ويظهر هذا التأثير في شعر أبان اللاحقي (ت 200هـ)، الذي اتصل بالبرامكة ومدحهم ونال جوائزهم، ووفق إلى نظم الشعر التعليميّ الذي يوافق هوى لدى أسياده، ويكاد الرواة يتفقون على أنّ أكثر شعر أبان إنما هو **مزدوج** و **مسمط** وربّما كان سبب ذلك أنّه قد قصر همه على نظم المتون الفارسيّة التي ترجمها ابن المقفع وأقرانه باللغة العربيّة. ولعلّ أول كتاب فارسيّ نظمه أبان هو **كليّة**

ودمنة⁶⁰، في ما يقارب خمسة آلاف بيت، بأسلوب المزدوج [دوبيت]، ولم يبق منها إلا ستة وسبعون بيتاً تتعلّق ببابي الأسد والثور، وبعثة برزوية وقد أوردتها الصولي في كتابه الأوراق⁶¹. وفي مستهل منظومته يصف الكتاب بأنه كتاب أدب ومحنة، فيه دلالات وفيه رشد، وهو كتاب وضعته الهند، يسير الحفظ، وهذا يشير إلى أنّ الغاية من نظم الكتاب إنّما هي تسهيل معانيه وبسط أفكاره. نظم أبان كذلك عدداً من الكتب الفارسيّة ذكرها ابن النديم⁶² فضلاً عن كثيلة ودمنة، كتاب سيرة أردشير، وكتاب سيرة أنوشيروان وكتاب بلوهر وبروانيه، وكتاب مزدك وغيرها. نقلت المصادر كذلك أشعار محمود الوراق (ت 221هـ)، ذي الأصل الفارسيّ الذي عاش في هراة، ونظم في وقت مبكر شعراً باللغة الفارسيّة كما يرى الدكتور ذبيح الله صفا⁶³، والمهمّ في شعره التيار الفارسيّ الحكمي، فقد أدخل الكثير من معاني الفرس وحكمهم في أشعاره الزهديّة والوعظيّة.

بشار بن برد (167هـ)، هذا الشاعر الفارسيّ الأصل، الذي كان مضطرب العقيدة، كانت شخصيّة الشعريّة متكاملة. احتلت المرتبة الأولى بين الشعراء حيث كانت تتدفّق حيويّة ونشاطاً... وقد تأثر بشار بنهج حكماء فارس، من ذلك قوله على سبيل المثال:

لا ينفع المرء مال والده غداً عيباً وينفع الأدب

وقد حكى بشار بذلك قول بزرجمهر "ما ورثت الأباء الأبناء شيئاً أفضل من الأدب؛ لأنّها تكتسب المال بالأدب، وبالجهل تتلفه، فتعقد عدماً منهما"⁶⁴.
أبو العتاهية (ت 211هـ).

بإمكان الباحث أن يتبيّن بسهولة تأثير الثقافة الفارسيّة في موضوع الآداب والحكم والنصائح في غير قليل من أشعاره، لا سيّما في الأرجوزة التي تبلغ أربعة آلاف بيت، استقى كثيراً من جوانبها من أمثال الفرس وحكمهم⁶⁵.

أبو نواس: حين يقرأ الباحث ديوان أبي نواس تطمح نفسه لرؤية آثار الآداب والحكم الفارسيّة واضحة جليّة في أشعاره، فمن ناحية كانت حكم الفرس عنصراً أساسياً في هذا العصر من عناصر تثقيف الكتاب والمتأدّبين، ومن ناحية أخرى أصول أبي نواس الفارسيّة.

لقد وصلت إلى أيدينا أشعار له، تدل دلالة قاطعة على اقتباسه من هذه الآداب والحكم واغترافه من معينها، ولعلّ من ذلك قوله ناصحاً⁶⁶:

60 - طبقات الشعراء، ص 241.

61 - الصولي، ص 47-50.

62 - الفهرست، ص 119.

63 - تطور الشعر الفارسيّ "بحث الدكتور ذبيح الله صفا في مجلة الدراسات الأدبية، السنة الثالثة، العدد الأوّل (ربيع 1961م)، ص 95.

64 - ابن فتيبة: عيون الأخبار، مج 2، ص 120.

65 - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 141.

66 - الديوان، ص 620.

خَلَّ جانبيك لرام
 مُتَّ بداءِ الصمتِ خيرٌ
 وامضِ عنه بسلام
 لك من داءِ الكلامِ
 رُبما استفتحتَ بالمزحِ مغاليقَ الحِمامِ
 رُبَّ لفظٍ ساقَ آجالَ نيامِ وقيامِ
 إنما السالمُ مَنْ أَلجمَ فاهُ بَلجامِ
 فالبسِ الناسَ على الصِّحةِ منهمِ والسقامِ
 وعليكِ القصدِ إنَّ القصدَ أبقى للجمامِ

والآداب التي تتطوي عليها تلك الأبيات لا تختلف في طبيعتها ومطالبها عن الآداب التي أشاعها ابن المقفع في مترجماته ومصنّفاته. من نحو قوله في الأدب الكبير⁶⁷ "إنَّ غُلِبَت على الكلامِ وقتاً، فلا تغلبن على السكوت؛ فلعلّه يكون أشدهما لك زينة، وأجلبهما لك مودّة، وأبقاهما للمهابة، وأنفاهما للحسد". والمعنى الذي انطوى عليه البيت الأخير مأخوذ حتماً من قول ابن المقفع في الأدب الصغير⁶⁸ "اقتصاد السعي أبقى للجمام، وفي بعد الهمة يكون النصب...". ومن أشعار أبي نوّاس التي جارى حكمة الفرس قوله في الإخاء⁶⁹:

لا أعير الدهر سمعي
 لا ولا أذخر عندي
 لا أعيبوا لي حبيبا
 للأخلاء العيوباً
 فإذا ما أكن كونُ
 قمت بالغيب خطيباً
 أحفظ الإخوان كيما
 يحفظوا مني المغيباً

ولا يخفى أنّ أبا نوّاس قد استعار معانيه في هذه الأبيات من قراءاته لآداب الفرس وحكمهم التي استطاع ابن المقفع وأضرابه أن يقدّموها سائغة شهية على مائدة الثقافة العربيّة. فقد جاء في الأدب الكبير قوله⁷⁰: "استح الحياء كلّهُ من أنْ تخبر صاحبك أنّك عالم، وأنّه جاهل، مصرّحاً أو معرّضاً"، وقوله⁷¹ "تحفّظ في مجلسك وكلامك من التناول على الأصحاب، وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول مداراةً لئلا يظنّ أصحابك أنّ ما بك التناول عليهم".

وثمة مظهر آخر من مظاهر تأثر أبي نوّاس بثقافة الفرس وآدابهم وحكمهم، يدل دلالة قاطعة على أنّ هذا الشاعر، كان على قدر كبير من الإلمام بالثقافة الشعبيّة الفارسيّة. فقد كان يحفظ كثيراً من الأقوال الحكيمة، والأمثال

67 - محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص 91.

68 - المصدر نفسه، ص 16.

69 - الديوان: ص 39.

70 - رسائل البلغاء، ص 74.

71 - المصدر نفسه، ص 73.

السائرة، التي كان الفرس يتداولونها في حياتهم اليومية وفي مجالس حديثهم وسمرهم. وقد ضمن أشعاره بعضاً منها. فمن ذلك قوله⁷²:

كنتُ من الحبِّ في ذرى نيق
 حتى نفاني عنه تخلقُ واش
 كقول كسرى، فيما تمثله:
 من فُرص اللصِّ ضجةُ السوقِ

فالمثل الذي ذكره أبو نؤاس في البيت الأخير، ونسبه إلى كسرى، هو ترجمة لمثل فارسي، لا يزال الفرس يرددونه في حياتهم العادية، فيقولون "دزدي آشفته بازار را ميخواهد" [من مصلحة اللص زحام السوق].

ومن هذا القبيل أيضاً متغزلاً⁷³:

سألتها قبلةً ففزتُ بها
 فقلتُ: لا لله يا مُعذبتني
 فابتسمتُ؛ ثمَّ أرسلتُ مثلاً
 "لا تُعطينَ الصبيَّ واحدةً"
 بعد امتناع، وشدة التعب
 جودي بأخرى أقض بها أربي
 يعرفه العجمُ، ليس بالكذب
 يطلبُ، أخرى بأعنفِ الطلبِ"

ومن حُسن الحظ أن الشاعر لا يغفل عن ذكر تابعية هذه الأمثال للفرس. ونحن لا نشك في أن أبا نؤاس، الذي انفرد بهذه الطريقة في بث الأمثال، إنما أخذها عن صنعة أرسلها المثل التي يعرفها الفرس في ذلك الزمان. ولعله يبدو واضحاً بعد هذا أن في أشعار أبي نؤاس ما يدل دلالة قاطعة على تأثره بالآداب والحكم والأمثال الفارسية وتقيئه ظلالها الوارفة، وغرفه من معينها الثر.

6- صالح بن عبد القدوس (ت 167هـ).

بصري المولد والنشأة. اختلف في أصله، فقال بعضهم إنه عربي من الأزدي، في حين يرجح الدكتور شوقي ضيف أن يكون فارسي الأصل، وتربطه بالأزد رابطة ولاء⁷⁴. وهو ممن وُجِّهت إليهم تهمة الزندقة. وهذا يعني- إن صح- أنه شريك بشار بن برد في عقيدته الثنوية. ويبدو أن هذه العقيدة قد خالطت شغاف قلبه، وبلغت منه مبلغاً عظيماً، حيث تعدى إيمانه بها حدود الاعتقاد الشخصي المتكتم عليه، إلى الدعوة إلى مذهبه جهاراً نهاراً. وفي ذلك يقول بروكلمان⁷⁵ "وكان يُلقب دروساً بالبصرة في فضائل مذهب الثنوية الفارسي. وطبيعي أن يلحق صالحاً ما يلحق أصحاب الدعوات الخطيرة والمذاهب الوافدة في كل زمان من عنت ومشقة. فقد ولّى وجهه شطر دمشق؛ لأنه غدا من طريدي السلطان، وربما حصاد سيفه لو أدركه. وتذكر المصادر

⁷² - الديوان، ص 450-451.

⁷³ - الديوان، ص 274.

⁷⁴ - شوقي ضيف، م. س، ص 393.

⁷⁵ - تاريخ الأدب العربي، ج 2، ص 17- من الترجمة العربية 18.

أنَّ الخليفة المهدي أو لعلَّه الرشيد بعث في طلبه، فأحضر بين يديه، وُصِّب بسبب معتقده- بحسب أكثر الروايات- سنة سبع وستين ومائة هجرية في بغداد. وإذا كانت ثمة آراء في السبب المباشر لقتله، وفي شخص الخليفة الذي حاكمه وأصدر حكمه في حقه، وفي سنة القتل، فإنَّ الكلمة سواء بين الباحثين والمؤرِّخين، قدماءً ومعاصرين، هي أنَّه كان زنديقًا ومارقًا. يقول شوقي ضيف⁷⁶ "ومما لا شكَّ فيه أنَّه كان زنديقًا مانويًا كبيرًا، بل لقد كان رأس المانوية، والمجادل عن عقيدتهم في البصرة حُقبًا متطاوله". والمعتمد لدينا أنَّ صالحًا لم يأخذ عن الفرس اعتقادهم بأنَّ العالم تتنازعه قوتان كبيرتان، هما: الخيرُ والشرُّ فحسب، بل يبدو أنَّه قرأ كتبَ آدابهم وحكْمهم وأمثالهم، وتصفَّح عقول مفكرتهم، فاقتبس منها الشيء الكثير. يقول أبو هلال العسكري⁷⁷ "وسمعتُ أبا بكر ابن دريد يقول: اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس- وهو رجل من شعرائهم- ألفٌ مثل للعرب وألفٌ مثل للعجم. ويؤيِّد هذا من بعض الوجوه، أنَّ الإيمان بعقيدة الفرس والتدين بدين المجوس، كان يقتضي من صاحبه إمامًا بآدابهم وحكْمهم وثقافتهم؛ ذلك أنَّ هذه الآداب لا بدَّ من أن تكون مستوحاة من روح العقيدة الثنوية، ومستشرفة آفاقها القريبة والبعيدة. وقد ثبت ذلك بالدليل القاطع من المحاكمة التي أجريت للأفشين- قائد الخليفة المعتصم- الذي هو نفسه يدين بدين المجوس، والذي يقول الأستاذ أحمد أمين في شأنه⁷⁸ "... واتُّهم كذلك بأنَّه عُثر في بيته على كتاب قد زُيِّن بالذهب والجوهر والديباج فيه كفرٌ بالله. وردَّ على هذه التهمة بالإقرار بها، وأنَّه ورث الكتاب عن آبائه، والكتاب فيه أدب من آداب العجم، فيه كفرٌ، فانتهج بما فيه من أدب، وترك ما فيه من كفر". وهكذا فإنَّ العنصر الثقافي الفارسيّ يمثِّل تيارًا قويًّا في ثقافة الرجل، ولا بدَّ من أن يترك ألوانه وأصداءه في ما خلف من أشعار، حفظتها له المصادر الأدبية والتاريخية.

وتذكر الروايات أنَّ صالحًا خلف ديوانًا من خمسين ورقة⁷⁹. استنفذه في موضوع الحكْم والآداب ومكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلَّى بها الناس. ولعلَّ في هذا ما يغضُّ من قيمة أشعاره ويحطُّ من دركها. وفي هذا يقول الجاحظ⁸⁰ "وقالوا: ولو أنَّ شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري، كان مفرقًا في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نواذر سائرة في الآفاق. ولكنَّ القصيدة إذا كانت كلَّها أمثالاً لم تسر، ولم

76 - شوقي ضيف، م. س، ص 397.

77 - التحفة البهية، ص 217.

78 - ضحى الإسلام، ج 1، ص 143.

79 - ابن النديم، الفهرست، ص 163.

80 - البيان والتبيين، ج 1، ص 141.

تجر مجرى النواذر. ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع".

ولعل من ملامح تأثره بحكمة الفرس وآدابهم إيثاره العزلة والانفراد، وعزوفه عن مخالطة أصحاب الجاه والسلطان، لأنها في رأيه ركوب غرر ومجلبة خطر. فقد كان لسان مقاله يردد⁸¹:

أنست بوحدتي ولزمت بيّتي
وأدبني الزمان فليت أني
ولست بقائل ما دمت حيًّا
وتحذر الحكم الفارسيّة كثيرًا من مصادقة الحمقى والمغفلين، وترى أنّ معاداة العاقل خير من مصافاة الجاهل. وفي شعر صالح ما ينم على هذه الفكرة بوضوح تام حيث يقول⁸²:

المراء يجمع والزمان يُفرق
ولأن يعادي عاقلًا خير له
فأربأ بنفسك أن تصادق أحمقًا
وتقيم حكمة الفرس كبير وزن لقضية الحظوظ، وتذهب إلى أنّ الرزق مقدر مقسوم، وتتكبر أن يكون رزق الإنسان تبعًا لعقله. وفي هذا يقول صالح بن عبد القدوس:

وما الإنسان إلا عاملانٍ فعاملٌ
والناس في طلب المعاش وإنما
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ألفت أكثر من ترى يتصدق
ومما أثير عن الفرس في هذا المعنى ما يُقال إنّ كسرى أنو شروان كتب إلى بزرجمهر، وهو في الحبس "كانت ثمرة عمك أن صرت أهلاً للحبس والقتل. فكتب إليه بزرجمهر: أما لَمَّا كان معي الجدُّ فقد كنت أنتفع بثمره العلم، فالآن إذ لا جدَّ معي فقد صرت أنتفع بثمره الصبر، مع أنّي إن كنت قد فقدت كثير الخير، فقد استرحت من كثير الشر".

ويلمح قاريء أشعاره خصائص النفس الفارسيّة واضحة جليّة، كما في قوله من قصيدته المسمّاة "الزينية":

وأبدأ عدوك بالتحية وتكن
واحذره إن لاقيته مُبتسمًا
إن العدو وإن تقادم عهده
منه زمانك خائفًا تترقب
فالليث يبدو نابُه إذ يغضب
فالحقد باقٍ في الصدور مُغيَّب

81 - المصدر نفسه، ص. ن.

82 - المصدر نفسه، ص. ن.

فإنَّ هذا يشبه إلى حدِّ بعيد ما جاء في **الأدب الكبير** لابن المقفَّع من قوله في معاملة العدو⁸³ "واعلم أنَّه أعظم لخطرِكَ أنَّ تريه أنَّكَ لا تتَّخذُه عدوًّا؛ فإنَّ ذلك غرَّة له وسبيل لك إلى القدرة عليه. فإنَّ أنتَ قدرتَ فاستطعتَ اغتفارًا لعداوتِه عن أنْ تكافيءَ بها، فهناك استكملتَ عظيمَ الخطر"، وكذلك قوله⁸⁴ "... وإنَّ ابتليتَ بمجازاةِ عدو... فعليك بالحدْر في أمرِكَ، والجرأة في قلبك، حتى تملأَ قلبك جراءةً، ويستقرغَ عملك الحدْر".

والحقيقة أنَّ قدرًا كبيرًا مما يدور في هذه القصيدة من حكم وآراء صائبة، قد استقاه الشاعر من معين الحكمة الفارسيَّة وينايبعها الثرَّة. ومن ذلك قوله في مصاحبه الكذوب⁸⁵:

دَع الكذوبَ فلا يَكُنْ لك صاحبًا إنَّ الكذوبَ يشين حُرًّا يصحبُ
فإنَّ هذا يشبه قول ابن المقفَّع في **الأدب الكبير**⁸⁶ "إذا نظرتَ في حال من ترتئيه لإخائك، فإنَّ كان من إخوان الدين، فليكن فقيهاً ليس بمراء ولا حريص، وإنَّ كان من إخوان الدنيا، فليكن حُرًّا ليس بجاهل ولا كذاب، ولا شرير، ولا مشنوع... وإنَّ الكذاب لا يكون أخًا صادقًا؛ لأنَّ الكذب الذي يجري على لسانه إنَّما هو فضول كذب قلبه، وإنَّما سمِّي الصديق من الصدق، وقد يُتهم صدق القلب، وإنَّ صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان".
ومن آيات تأثَّره بحكمة الفرس أيضًا، قوله⁸⁷:

لا تجد بالعطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحقِّ بخلُ
إنَّما الجودُ أنْ تجودَ على مَنْ هو للجود منكَ والبذلِ أهلُ
وقد أشارت الحكم الفارسيَّة إلى هذا المعنى، حيث جاء في آداب بزرجمهر سبع خصالٍ من طباع الجهال: الغضبُ في غير شيءٍ والإعطاءُ في غير حق، وقلة المعرفة بأنفسهم، ولا يُفرقون بين عدوِّهم وصدقهم، والتصنُّع للأشْرار، وكثرة الكلام في غير نفع، وحُسن الظنِّ بمن ليس لذلك بأهل⁸⁸. "ومن ذلك أيضًا ما جاء في **الأدب الكبير**⁸⁹: "واعلم أنَّكَ ما شغلتَ من رأيك في غير المهمِّ أزرى بالمهمِّ، وما صرفتَ من مالك بالباطل، فقدتَه حين تريده للحقِّ".
ويقول ابن عبد القدوس⁹⁰:

إنَّ الغنيَّ من الرجالِ مُكرَّمُ وترأه يُرجى ما لديه
ويُرهبُ

83 - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج2، ص 126.

84 - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج2، ص 405.

85 - م.ن، ص.ن.

86 - رسائل البلغاء، ص 77.

87 - النويري، نهاية الأرب، ص3 ص 82.

88 - الحكمة الخالدة (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، ص 37.

89 - رسائل البلغاء، ص 48.

90 - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج2، ص 405.

ويبشُّ بالترحيب عندَ قدومه
والفقرُ شينٌ للرجالِ فإنه
وفي هذا المعنى جاء في **الأدب الصغير** لابن المقفع⁹¹ "ما التبع والأعوان
والصديق والحشم إلا للمال. ولا يُظهر المروءة إلا المال. ولا الرأي ولا القوة إلا
بالمال...، والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس، هو مسلبة للعقل والمروءة،
ومذهبة للعلم والأدب، ومعدن للتهمة، ومجمعة للبلايا".
ويقول في مقام آخر⁹²:
إذا قلتَ قدرُ أنَّ قولك عرضةٌ
وأنَّ امرأ لم يخش قبلَ كلامه

لبادرةٍ أو حجةٍ لمخاصم
الجوابَ فينهى نفسه غير

حازم

في ذلك يقول ابن المقفع⁹³ "... فإن لم يخصَّ السائلُ في المسألة رجلاً
واحداً، وعمَّ بها جماعة من عنده، فلا تبادرُ بالجواب، ولا تسابقِ الجلساءَ توابث
الكلامِ موأثبة؛ فإنَّ في ذلك، مع شينِ التكلّف والخفة، أنك إذا سبقت القول إلى
الكلام، صاروا لكلامك خصماء، فيتعقّبونه بالعيب والطعن". وهكذا فإنَّ معظم
أشعار صالح ابن عبد القدوس إنما يجري في هذا المضمار، ويصاغ على هذا
الغرار. ولولا عبقريته الفذة، وقدرته النادرة على تطويع معاني الفرس وإخضاع
أفكارهم الحكيمة لريشته الصّناع وفنه المبدع، لأبرزت هذه المعاني والأفكار
صدق انتمائها الفارسيّ، كما تسفر العروس عن وجهها ليلة جلوتها.

7- العتّابي (ت 208هـ):

لم يقيض لحكم الفرس وآدابهم أن ترتسم في ذهن واحد من الشعراء
الكتاب في العصر العباسي كما ارتسمت في ذهن كلثوم بن عمر العتّابي. ففي
حين اكتفى ابن المقفع بما نقل وترجم من هذه الحكم والآداب، ووقف حظ سهل
بن هارون عند التقليد والمعارضة لها، وقف العتّابي من هذه الحكم والآداب
موقفاً مغايراً؛ ذلك أن تأثر هذين الرجلين بحكم الفرس وآدابهم يبدو أكثر اتصالاً
بالناحية الشكلية منه بالمضمون، أمّا العتّابي، فقد عاشت معاني الفرس في نفسه،
وتلجلجت في صدره طويلاً، ففنتت لسانه ببدايع الحكم وروائع الكلم.
وقد كان العتّابي ملماً بالفارسية إلى الدرجة التي تسمح له بمراجعة
النصوص والمصنّفات الفارسية في لغتها الأصلية. ويؤخذ من رواية طيفور أن
إعجاب العتّابي بمعاني الفرس وتعلّقه بها، جعله يشدّ الرحال إلى مَرَوْ ثلاث

91 - رسائل البلغاء، ص 34.

92 - ياقوت: معجم الأدباء، ج 12، ص 10.

93 - رسائل البلغاء، ص 62-63.

مرّات؛ ليدون كتب العجم. وحين سُئِلَ عن ذلك قال "وهل المعاني إلا في كتب العجم؟ و عن البلاغة قال: "اللغة لنا، والمعاني لهم"⁹⁴. فالرجل إذاً كان معجباً بمعاني الفرس، وقد تحمّل في الحصول عليها وعناء السفر ومشقة الغربة. ولقد كان ما قال العتّابي في بلاغة الفرس ومعانيهم حقيقة لا مرأى فيها بالنسبة إليه، فقد نهل منها ما لذ وطاب، واقتبس من أفكارهم وحكمهم وآدابهم الشيء الكثير. وكان يحسّ بفيض من الأفكار والمعاني ينثال على حافظته حين يهَمُّ بالكتابة في موضوع من الموضوعات. يقول ابن المدبّر في الرسالة العذراء⁹⁵. حدّثنا صديق للعتّابي، قال له: اعمل لي رسالة، واستمدّه مرّة بعد أخرى فقال له: ما أرى بلاغتك إلا شاردة. فقال العتّابي لمّا تناولتُ القلم، تداعت عليّ المعاني من كل جهة، فأحببتُ أن أترك كلّ معنى يرجع إلى موضعه. ثم أجتني لك أحسنها. ويخيّل إلينا أنّ ما ذكره ابن المدبّر عن العتّابي إنّما هو إحساس يمكن أن ينتاب كلّ من اطّلع على معاني الفرس وحكمهم وآدابهم في لغاتها الأصليّة؛ ذلك أنّ ابن المقفّع الذي سبق العتّابي في التلمذة على الحكمة الفارسيّة، كان له موقف مشابه، حيث يقول "إنّ الكلام يزدحم في صدري فأفّف لتخيّره".

والحق أنّ العتّابي قد تأثر بقوة بجنس الحكم والآداب عند الفرس أو باتجاهه العامّ، فكان له في هذا الموضوع كتابان نوّه المؤرّخون بهما، وهما: كتاب الآداب، وكتاب فنون الحكم. وإذا كانت حُجُب الضياع والفقدان قد لفت هذين الكتابين وغيبتهما عن أنظار الباحثين والمتأدّبين، فإنّه قد بقيت من آثار هذا الرجل بعض الشذرات والحكم والأقوال البليغة والأشعار الرائعة، تكشف بعض الشيء عن مبلغ تجويده وتحبيره في فنّ الحكم، واتكائه فيه على معاني الفرس وأفكارهم. ومن حسن الحظ أنّ أغلب هذا المتبقي إنّما يدور في فكّ الحكم والآداب والأقوال البليغة المؤثّرة، التي لا يخرج فيها العتّابي عن إطار الموضوعات التي عالجتها الحكمة الفارسيّة المترجمة في ذلك العصر. فمن أقواله في السياسة الملوكيّة "مما يعين على العدل اصطناع من يؤثر النقي، وإطراح من يقبل الرشأ، واستكفاء من يعدل في القضيّة، واستخلاف من يُشفق على الرعيّة"⁹⁶. وقد جمع العتّابي في هذه النصيحة مؤهلات من يتولّى أمر الرعيّة، ويعرف أمورها. وقسم فكرته إلى معانٍ جزئيّة؛ ليستكمل أبعاد الفكرة التي طرحها. ولعلّ القارئ يدرك هذا الميزان الدقيق، الذي وزن العتّابي به معانيه وألفاظه فجاءت ألفاظه على أقدار معانيه من جهة، ثم كانت هذه الألفاظ متوازنة متساوية مزدوجة في ما بينها. هو مطمّح قلّ أن يصل إليه طلبه. وقد

94 - تاريخ بغداد، ج6، ص 157-158.

95 - محمد كرد علي: رسائل البلاغة، ص 244.

96 - أسامة بن منقذ: لباب الألباب، ص 55.

بدّد العتّابي جفاف الفكر وبرودة المنطق في الوصيّة هذه باستخدامه الترادف الصوتي، واستخدامه جمال الجرس، الذي تأتي له من طريق الإكثار من المدود والحروف المشدّدة. أمّا الأثر الفارسيّ في هذه الوصيّة فيبدو في الغرض العامّ، الذي نواجه أمثاله في ما بين أيدينا من وصايا ملوك فارس وعهودهم، أو في هذا التقسيم والتفريع لفكرة المحافظة على العدل في دولة يُرام لها البقاء والاستمرار. ولقد كان العتّابي يقرن القول بالعمل، وينفّذ بدقّة ما تعلّمه من حكم الفرس وآدابهم، فمثلاً: تنفّر الحكم والآداب الفارسيّة من صحبة السلطان، وترى أنّها كركوب البحر، ليست مأمونة المغبّة، وقد اتّخذ العتّابي في الحياة موقفاً مستمداً من هذه الفكرة في ما نعتقد. فحين سئل عن عدم كتابته للأمير أو دخوله في خدمته، قال "أنّي رأيتُه يعطي رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنّب، فلا أدري أيّ الرجلين أكون عنده، مع أنّ الذي أعطي في ذلك أكثر من الذي أخذ - يريد مهجته وركوب الغرر فيها معه"⁹⁷. ولا يمكن تفسير ذلك إلا في ضوء ما انتشر من آداب الفرس في هذا العصر، تلك التي تحذّر من صحبة الملوك، وتحدّد ضرورياً من الأخلاق في من يعدّ نفسه لصحبته، كالذي يُروى من أنّ بزرجمهر سئل: أيّ التعب أدوم؟ - فقال: صحبة السلطان السيء الخليقة⁹⁸. "وأنه سئل" أي شيء أسرع تقلباً؟ - قال: قلب الملوك⁹⁹. ومن هذا القبيل أيضاً الحكمة الفارسيّة التي وردت في الأدب الكبير¹⁰⁰ "لا تكوننّ صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقك في ما خالفك، وتقدير الأمور على ميلهم دون ميلك".

ويجد الباحث كلاماً للعتّابي في البلاغة والبيان. وهما من الموضوعات البارزة في حكم الفرس. ويبدو ثابتاً أنّ العتّابي قد استفاد في هذا الموضوع من اطلاعه على بلاغة الفرس ووصايا بلغائهم، من ملوك ووزراء وكتّاب. ومن ذلك قوله "الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإنّ قدّمت منها مؤخراً، أو أخّرت منها مقدّماً أفسدت الصورة، وغيّرت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الجلية"¹⁰¹. "ولعلّه غير خاف أنّ فكرة الروح والجسد وصلة أحدهما بالآخر من الأفكار التي أشاعتها حكمة الفرس وآدابهم في هذا العصر.

97 - القرطبي: بهجة المجالس، ص 348.

98 - الحكمة الخالدة (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، ص 36.

99 - المصدر السابق، ص 36.

100 - رسائل البلغاء، ص 69.

101 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 167.

وتعريف العتّابي للبلاغة يتفق تماماً والتعريف الفارسي لها. فهو يقول: "البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال"¹⁰². وهذا لعمري مشابه لقول الفارسي في البلاغة "هي معرفة الفصل من الوصل".

ومن يقرأ شيئاً من آداب العتّابي وحكمه، فإنه يدرك أنه إنما يتعامل مع كلام مغاير لطبيعة كلام العرب، وأنّ النفس التي أبدعت هذه الحكم والآداب لا تقيم أيّ وزن للقيم المعهودة لدى العرب، ولا تحققي بما عُرف عنهم من تقاليد وروابط قائمة على أساس عصبية الدم. فقد كتب العتّابي إلى مالك بن طوق "أمّا بعد، فاكتسب أدباً تحيي نسباً، واعلم أنّ قريبك من قُرب منك خيرَه، وأنّ ابن عمّك من عمّك نفعُه، وأنّ أحبّ الناس إليك أجدهم بالمنفعة عليك"¹⁰³، ولا ريب في أنّ ذلك من وحي النفس الفارسيّة، التي تُبصر الأشياء بمنظار مغاير لمعهد العرب. وحكم العتّابي هذه تشبه إلى حدّ بعيد حكم ابن المقفع في الأدبين الكبير والصغير ويمكن أن يكون عزوف العتّابي عن مناهج السلف العربيّ، وتخلّقه بأخلاق الفرس، هو الذي حدا بالبرامكة لأنّ يُنزلوه مكاناً علياً، ويخلّدوا كلماته، ويخلّدوا أقواله الحكيمة سويداء قلوبهم. فلقد كان يحيى بن خالد البرمكي يقول لولده "إنّ قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتّابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن تروا أبداً مثله"¹⁰⁴.

الحقيقة أنّ استجابة العتّابي لحكم الفرس وآدابهم، قد تعدّت مؤلّفاته النثرية التي ذكرنا بعضاً منها، فقد تركت هذه الحكم والآداب ملامحها وآثارها جلية فيما ترك الرجل من أشعار. وقد ذكر ابن النديم¹⁰⁵ أنّ شعر كلثوم بن عمر العتّابي مائة ورقة". ولكن لم يبق منه إلا النزر اليسير. وقد ذهب لطلوته وطرافة معانيه وسهولة حفظه أمثالاً سائرة على ألسنة الناس. ومن يقرأ أشعاره تطالعه هذه النعمة التي يتحسّسها قارئ الحكم والآداب الفارسيّة. فلقد كان الشكر - مثلاً - من الأغراض البارزة في حكم الفرس وآدابهم كما أسلفنا من قبل. وقد تناولت عبقرية العتّابي هذا المعنى، فقال¹⁰⁶:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ لعزّة ملك، أو علوّ مكان
لما ندب الله العباد لشكره
والصديق الحقّ - في نظر العتّابي - من يحفظ حرمة صديقه في الغيب
والشهادة، ولا يستشعر أيّ مودّة إزاء أعدائه. ولذلك فإنه يقول لصديقه¹⁰⁷:
تودّ عدوي ثم تزعم أنّني صديقك، إنّ الرأي عنك لعازبٌ

102 - الحصريّ: زهر الآداب، ج 1، ص 117.

103 - الصناعتين، ص 333.

104 - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج 3، ص 250.

105 - الفهرست، 163.

106 - القرطبي: بهجة المجالس، ص 314.

107 - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 3، ص 6.

وليس أخي من ودني رأي عينه ولكن أخي من صدقته المغايب
ولعل في هذا ما يذكرنا بأداب الصداقة التي انطوى عليها كتاب الأدب
الكبير لابن المقفع. ومن موضوعات الحكم والآداب الفارسية أيضاً "استتجاح
الحاجات" وسبل الوصول إليها. وقد كان للعتابي في ذلك قسمة وافرة. فهو يرى
أن هيبة الإخوان كثيراً ما تكون سبباً للحرمان. وقد عبّر عن ذلك بقوله¹⁰⁸:

هيبة الإخوان قاطعة
فإذا ما هبت ذا أمل
لأخي الحاجات عن طلبه
مات ما أمّلت من سببه

ولنصغ إلى حديث العتابي في فضائل الكتب، الذي يقول في تضاعفيه¹⁰⁹:

لنا ندماء ما نمل حديثهم
أمينون مأمونون غيباً ومشهداً

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأيًا وتأديبًا وأمرًا مسدداً

بلا علة تخشى ولا خوف ريبة ولا ننقي منهم بناناً ولا يداً

فإن قلت: هم أحياء لست بكاذب وإن قلت: هم موتى، فليست مفنداً

والأثر الفارسي في الأبيات السابقة واضح بين؛ في هذا التشويق للمعاني
والاستقصاء الذي يحيط بأطراف الفكرة. وكثيراً ما يأخذ العتابي معنى فارسيًا
فينظمه عقود حكمة تزدان بها آدابه وآراؤه وأقواله الحكيمة. ففي محاضرات
الأدباء للإصفهاني أنه¹¹⁰ "قيل لابن المقفع: لم لا تطلب الأمور العظام؟ - فقال
رأيت المعالي مشوبة بالمكاره، فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية، فأخذه
العتابي، وقال:

دعيني تجنني ميّتي مطمئنة
ولم أتجشم هؤل تلك الموارد

فإن جسيمات الأمور مشوبة
بمستودعات في بطون الأساود

ولعله لا يخفى علينا هنا أن العتابي قد ثقف حكمة الفرس وآدابهم، وعاشت

معانيهم في ذهنه طويلاً، فكان له من ذلك كله نثر جارٍ فيه فرسانها، وشعر
بارى فيه حدائقها وجهابذتها.

ظواهر التأثير المتبادل بين الأدبين:

وبتأثير الفرس ظهرت مجموعة من الظواهر في الشعر العربي، منها:

1- التوسع بالغزل المكشوف والجهر بالمشاعر، وكان بشار بن برد أول
من فتح باب الخلاعة على مصراعيه، ونتج ذلك من تطوّر المجتمع في وسائل
ترفيه وثرائه ونظم حياته، واختلاط العرب بالفرس، وكثرة الموالى والإماء، وما
نقله العرب عن الفرس من ضروب اللهو.

108 - الأغاني، ج 13، ص 116.

109 - ابن النديم، الفهرست، ج 1، ص 11.

110 - ابن النديم، الفهرست، ج 1، ص 277.

- 2- الغزل بالمذكر: وهو نوع جديد من الغزل، وبدعة انتشرت في العصر العباسي نتيجة لعوامل متعدّدة من زندقة وإباحة¹¹¹.
- 3- التوسّع بالخمريّات: كَثُرَت أنواع الشراب، وتعدّدت مجالسُه، وأقبل عليه بعضهم من غير تَأْتَم، فلهج كثير من الشعراء بذكر الخمريات كأبي نُوّاس، الذي وصف الخمر ومجالسها وكؤوسها وآثارها في النفوس، وسقاتها الندامى والقيان وما شابه ذلك¹¹².
- 4- زوّد شعراء الفرس الشعر العربيّ بمعانٍ وأخيلة جديدة، تتوافق والبيئة الحضاريّة للعصر العباسيّ.
- 5- أولع بعضُ الشعراء في هذا العصر بالمحسنات اللفظيّة والمعنويّة، وأغرّموا بها، وكان بعضهم يتوخاها توخّياً، ويتعمّدها تعمّداً، ويتصيّدُها في حرص شديد عليها، فكلّفوا بالجناس الذي تفرّع وتتنوّع، وتلاعبوا بالألفاظ في حيل شتى.
- 6- أمّا بناء القصيدة العربيّة فقد استمرّ بعد الاتصال بالفرس كما كان في العصر الجاهليّ، حتى إنّ الشعراء من أبناء الفرس اقتفوا آثارَ العرب، فنظّموا الشعر الفارسيّ في ما بعد على الأوزان العربيّة.
- 7- أضاف الفرس إلى العربيّة كثيراً من المفردات، وزادوا على الأدب العربيّ بعضَ الموضوعات، وولّدوا طرائف من المعاني والخيال، وناقسوا العرب في المنظوم والمنثور، وأغنوا الثقافة العربيّة بمئات المؤلّفات في شتّى العلوم، ونقلوا إلى الإدارة والسياسة بعض النظم الجديدة.
- 8- انصهر الفرس في بوتقة الثقافة العربيّة الإسلاميّة مدّة ثلاثمئة عام، لكنّهم لم يتركوا فرصة للاستقلال السياسيّ إلاّ انتهزوها، فنشأت الدول المستقلّة عن الدولة العباسيّة، وأشهرها الدولة الطاهريّة والصفاريّة والسامانيّة والغزنويّة والسلجوقيّة، مما أتاح للأدب الفارسيّ فرصة الانبعاث بعدما أخذ كثيراً عن الأدب العربيّ، إذ تأثر الفرس باللغة العربيّة، فتأثّر تركيب الجملة الفارسيّة بالتركيب العربيّة، ومدّ النثرُ الفنيّ العربيّ النثرَ الفارسيّ بألوان ظهرت في ما كتبه في التاريخ والقصة والمقامة والرسائل الفنيّة، وتأثّر الشعرُ الفارسيّ كذلك بالشعر العربيّ من حيث الشكل والمضمون، "فأخذ شعراؤهم الشعر العربيّ وقوافيه ومصطلحاته العروضيّة، لكنّ طبيعته ومزاجه، وطبيعة لغته جعلته يُعْمَلُ في بعض الأوزان بعض التغيير والنقص والزيادة، وأنّ يختصّ بزحافات وعلل لا نجدها في العروض العربيّ"¹¹³. وحاكى شعراء الفرس الشعراء

111 - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 73.

112 - أبو نُوّاس: شرح ديوان أبي نُوّاس، ج1، ص 18.

113 - عبد الوهاب عزام، الأدب الفارسيّ، ضمن كتاب "قصة الأدب في العالم" لأحمد أمين وزكي نجيب محمود، دار النهضة المصريّة، القاهرة، مصر 1955م، ج1، ص 443 وما بعدها. - دانشنامه جهان اسلام، م. ن، مج2، مادة بحر (البحر الطويل).

العرب في بناء القصيدة وفي كثير من موضوعاتها- وأخذت الفارسيّة كذلك علم البلاغة كاملاً عن العربيّة، فصارت بلاغة الفرس محاكية لبلاغة العرب حتى بمصطلحاتها، وتردّدت في الأدب الفارسيّ معانٍ وأخيلة عربيّة، "واستعار الفرس الحرف العربيّ، وسُمّيت الفارسيّة المكتوبة بالحرف العربيّ والمحتوية على كلمات عربيّة بالفارسيّة الحديثة أو الفارسيّة الإسلاميّة"¹¹⁴، كذلك تأثّر الفرس بالنحو العربيّ في كثير من أبوابه ومصطلحاته، مثل فعل، فاعل، مفعول، النسبة، الجمع... إلخ- وبهذا نشأ الأدب واللغة الفارسيّان نشأة عربيّة وأصابا اتّساعاً وازدهاراً.

في العصر الحديث قلنا إنّ كثيرين من الأدباء احتذوا حدوّ ابن المقفّع في الكتابة والأساليب وغازاة المعاني، واقتباس الأمثال والحكم من أفواه البهائم والطير، ومن ثمّ نسجها في أشكال شعريّة ونثريّة... وقد تأثّر الأدب العربيّ الحديث بكليلة ودمنة، إذ ترجمها من العرب المحدثين محمّد عثمان جلال (توفي 1898م)، فقد ضمّ كتابه العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ كثيراً من حكاياتها وأفكارها؛ واتّسمت حكاياته بالإيجاز، ومن أبرز التقاطع بين حكايات محمّد عثمان جلال والشعر الفارسيّ أنّه نظمها على فنّ المزدوج/المثنويّ، وفي إطار وحدة القافية بين البيتين من دون التزامها في القصيدة كلّها كما في قصّة (الثعلب مقطوع الذنب)¹¹⁵، وهنا لا بدّ من أن نذكر أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كتب خمسين قطعة شعريّة على لسان الحيوان، تؤكد تأثّره بحكايات كليلة ودمنة وأفكارها كقصيدته (الثعلب والديك)، وفيها يتظاهر الثعلب بالتقوى والصلاح، ويتخلّى عن كلّ مكائده وفتكه بالطيور.

أمّا رباعيّات الخيام لأبي الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوريّ (430- 426هـ/1038- 1131م) التي نظمها بالفارسيّة... فإنّ قيمتها الكبيرة في هذه العلاقة التي أوجدتها بين الأدب الفارسيّ والأدب العربيّ ولا سيّما الحديث. لقد أحدثت الرباعيّات نشاطاً أدبيّاً عظيماً، في الوقت الذي دلّت على نزوع عقليّ امتزج بحسّ مرهف وبعاطفة شفافة في معالجتها للبحث عن سرّ الوجود: الحياة/الموت. ولهذا فإنّ ترجماتها العربيّة زادت على خمس عشرة ترجمة، منذ ترجمة وديع البستانيّ لها سنة (1912م)، عن الترجمة الإنجليزيّة التي قام بها فيتزجيرالد عن الفارسيّة- سواء أكانت ترجمة شعريّة أم نثريّة، وإذا كان البستانيّ قد أحال الرباعيّة إلى سباعيّة، فإنّ ترجمته دفعت من يتقن الفارسيّة إلى ترجمتها عنها مباشرة، كما دفعت البعض إلى تعلّم الفارسيّة لينقلوا الرباعيّات عنها كما حدث للشاعر أحمد رامي... وترجمة أحمد رامي

114 - إحسان ذو النون الثامري: الحياة العلميّة زمن السامانيين، التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما بين النهرين في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، أيلول 2001م، ص 85.

115 - م. س، ص 205-207.

التي غنّتها أم كلثوم جعلت اسم **عمر الخيام** ينتشر في العالم العربيّ بأكمله شرقاً وغرباً بين المثقّفين وعمامة الناس على حدّ سواء... وما من شكّ في أنّ فلسفة الخيام في الرباعيّات تتقاطع في بعض ملامح منها بما نجده عند الشاعر المعريّ، لا سيّما ما يدور حول مفهوم الوجود ودورة الحياة؛ فالإنسان من تراب وسيعود إليه، أو حول مبدأ الشكّ واليقين¹¹⁶، ويبدو أنّ هذا كلّهُ امتدّ إلى شعر إيليا أبي ماض ولا سيّما قصيدته (الطلاسّم) التي أنشدّها بعد أن اطلع على ترجمة فيتزجيرالد للرباعيّات ومنها:

جنّت، لا أعلم من أين؛ ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت.
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت، كيف جنّت كيف أبصرت طريقي
لست أدري.

ولم يقتصر الأمر على أحمد رامي وإيليا أبي ماضي وإنما امتدّ إلى **جماعة الديوان** كعبّاس محمود العقاد (1889-1954م) الذي كتب أولى مقالاته عن الرباعيّات سنة (1908م) واتبعها بدراسات أخرى فضلاً عن معارضته إياها بعدد من الرباعيّات، وعبد الرحمن شكري (1886-1958م) الذي ترجم ثلاث رباعيّات وكتب عنها، وإبراهيم عبد القادر المازنيّ (1890-1949م) الذي كان أكثر تأثراً بالرباعيّات من صاحبيه، وردّ عن الخيام تهمة النزعة الأبيقوريّة¹¹⁷.

كذلك نلاحظ أنّ جبران خليل جبران قد تأثر بشعر المولويّ مترجماً، وهذا واضح في معظم أشعاره، لا سيّما في قصيدته المغنّاة (أعطني النايّ وغنّ).

نذكر كذلك قصيدة خليل مطران: "مصرع بزرجمهر" التي يتكلّم فيها على بزرجمهر حكيمًا، وقتله على يد الحاكم الظالم.

بالنسبة إلى شعراء الحداثة العرب، تعرفوا شعرَ حافظ الشيرازيّ متأثرين بغوته، المفكّر الألمانيّ. كذلك لا نكون مغالين إذا قلنا إنّ الشعراء العراقيّين الثلاثة الذين تُنسب إليهم بدايات الشعر الحديث أي بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتيّ ونازك الملائكة قد تأثروا في هذا السياق بشعر **نيما يوشيج** الذي سبقهم بالخروج على وحدة الوزن والقافية، بحوالى عشرين عامًا.

¹¹⁶ - سقّط الزند، للمعريّ، ص 974-975.

¹¹⁷ - تأثر جماعة الديوان برباعيّات الخيام، ص 67 وما بعدها.

المصادر والمراجع:

- 1- ابن الأثير: علي بن محمد (630هـ): **الكامل في التاريخ**، تحقيق نخبة من العلماء، نشر دار الكتاب العربي، بيروت 1967م.
- 3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ): **المقدمة**، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت لا تاريخ.
- 4- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (276هـ): **عيون الأخبار**، دار الكتب المصرية، القاهرة 1952.
- 5- ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (421هـ): **الحكمة الخالدة (جاويدان خرد)**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهوض المصرية، القاهرة 1952م.
- 6- ابن المعتز: عبد الله بن الخليفة العباسي المعتز (296هـ) **كتاب الآداب**، تحقيق صبيح رديف، ط1، بغداد 1972م.
- 7- ابن المقفع: عبد الله الكاتب العباسي (145هـ): **كليلة ودمنة**، تحقيق محمد حسن نائل المرصفي، ط5، مطبعة مصطفى محمد بمصر، لا تاريخ.
- 8- ابن منقذ: الأمير أسامة (584هـ): **لباب الألباب**، تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية بمصر، 1935م.
- 9- ابن نباتة: جمال الدين المصري (768هـ): **شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي 1964م.
- 10- ابن النديم: محمد بن إسحق الوراق (385هـ): **الفهرست**، نسخة مصورة عن طبعة فلوجل، نشر مكتبة خياط، بيروت لا تاريخ.
- 11- أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم الشاعر (211هـ) **ديوان أبي العتاهية**، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1964م
- 12- أبو نواس: الحسن بن هاني (195هـ): **الديوان**، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت لا تاريخ.
- 13- أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت لا تاريخ.
- 14- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، **قصة الأدب في العالم**، دار النهضة المصرية، لا تا.
- 16- أحمد حسن الزيات: **تاريخ الأدب العربي**.

- 17- أحمد زكي صفوت: **جمهرة رسائل العرب**، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1937م.
- 18- أحمد فريد الرفاعي: **عصر المأمون**، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1927م.
- 19- أحمد محمد الحوفي: **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، دار نهضة مصر، القاهرة 1968م.
- 20- أردشير بن بابك: **عهد أردشير**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1967م.
- 22- الإصفهاني: **حمزة بن الحسن (428هـ)**؛ **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، الطبعة الثالثة، دار مكتبة الحياة، بيروت 1961م.
- 23- الإصفهاني: **علي بن الحسين أبو الفرج (326هـ): الأغاني**، ط: - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا تاريخ.
- 24- بروكلمان: **المستشرق كارل: تاريخ الأدب العربي (الأجزاء 1 و 2 و 3)**، ترجمة عبد الحليم النجار، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، لا تاريخ.
- 26- البغدادي: **إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، نسخة مصورة عن طبعة استانبول سنة 1951م، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، لا تاريخ.
- 27- البلاذري، أحمد بن يحيى (279هـ): **فتوح البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م.
- 28- الثعالبي: **أبو منصور إسماعيل (429هـ): خمس رسائل (له منها رسالتا الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد في الأعداد)**، ط 1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية 1301هـ.
- 29- الجاحظ: **كتاب الأمل والمأمول (المنسوب إليه)**، ت. رمضان ششن، ط1، دار الكتاب الجديد 1968م.
- 30- الجاحظ: **كتاب البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، دار العارف بمصر 1963م.
- 31- الجاحظ: **البيان والتبيين**، دار الفكر للجمع، بيروت 1968م.
- 32- الجاحظ: **التاج في أخلاق الملوك (المنسوب إليه)**، تحقيق أحمد زكي باشا، مكتبة المثنى بغداد [لا تا].
- 33- الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، ت. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1965م.
- 36- ابن أبي الحديد: **عبد الحميد بن هبة الله المدائني، شرح نهج البلاغة** دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة لا تاريخ.
- 39- ابن حمدون: **محمد بن الحسن البغدادي (562هـ): تذكرة ابن حمدون (كتاب السياسة والآداب الملوكية)** ط1، مطبعة نهضة مصر، 1927م.
- 40- الخفاجي، **شفاء العليل في ما في كلام العرب من الدخيل**، مطبعة السعادة، القاهرة 1320هـ.
- 42- ابن خلكان: **أحمد بن محمد (681هـ) وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1972م.
- 43- **دانشنامه جهان اسلام**، زير نظر غلامعلي عادل، مج2.
- 45- الدينوري، أبو حنيفة (282هـ): **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1960م.
- 47- زركلي: **خير الدين: كتاب الأعلام**، المطبعة العربية، القاهرة 1927م.
- 49- زلهاليم: **المستشرق رودلف: الأمثال العربية القديمة**، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ط1، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت 1971م.

- 51- ابن شمس الخلافة: جعفر مجد الملك (622هـ): كتاب الآداب، تحقيق محمد أمين الخانجي، ط1، مطبعة السعادة بمصر 1930م.
- 52- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ط4، دار المعارف بمصر 1966م.
- 53- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط9، دار المعارف بمصر لا تاريخ.
- 54- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط7، دار المعارف بمصر لا تاريخ.
- 55- الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله (335هـ): كتاب الأوراق، قسم أخبار الشعراء، جمعه ج، هيورث، مطبعة الصاوي القاهرة 1934م.
- 56- طه الحاجري: الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف بمصر 1962م.
- 57- الطبري: محمد بن جرير (310هـ): تاريخ الأمم والملوك، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى في مكتبة خياط، دار القلم، بيروت لا تاريخ.
- 59- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (328هـ): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين- أمد الزين- إبراهيم الأبياري، الأجزاء:- الثالث: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1942م.- الرابع: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1944م.
- 61- العسكري: الحسن بن عبد الله أبو هلال (395هـ): كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر لا تاريخ.
- 62- القيلي: بشار بن برد (167هـ): الديوان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، لا تاريخ.
- 65- القرطبي: يوسف بن عبد الله النمري (463هـ): بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لا تاريخ.
- 66- كرد علي: محمد: أمراء البيان، ط3، دار الكتب، بيروت 1969م.
- 67- كرد علي: محمد: رسائل البلغاء (اختيار وتصنيف)، ط4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1954م.
- 68- كرستسن: المستشرق أرثر: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1957م.
- 69- لويس شيخو، المجاني في الأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لا تا. مج1.
- 70- الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري (450هـ): ادب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، ط3، مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر 1955م.
- 71- المبرد: محمد بن يزيد (285هـ): كتاب الكامل، نشر مكتبة المعارف، بيروت لا تاريخ.
- 75- محمد غفراني خراساني: عبد الله بن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر بمصر، 1965م.
- 76- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط5، دار العودة ودار الثقافة، بيروت لا تاريخ.
- 77- محمد محمدي: الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى (الجزء الأول) كتب الآيين والتاج، منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية، بيروت 1964م.
- 78- محمد نبيه حجاب: مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1961م.
- 79- المسعودي: علي بن الحسين (346هـ): التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت 1965م.
- 80- المسعودي: علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1946.

- 81- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- 83- اليماني: محمد بن حسين بن عمر (400هـ): مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب، تحقيق محمد يوسف النجم، دار الثقافة، بيروت لا تاريخ.